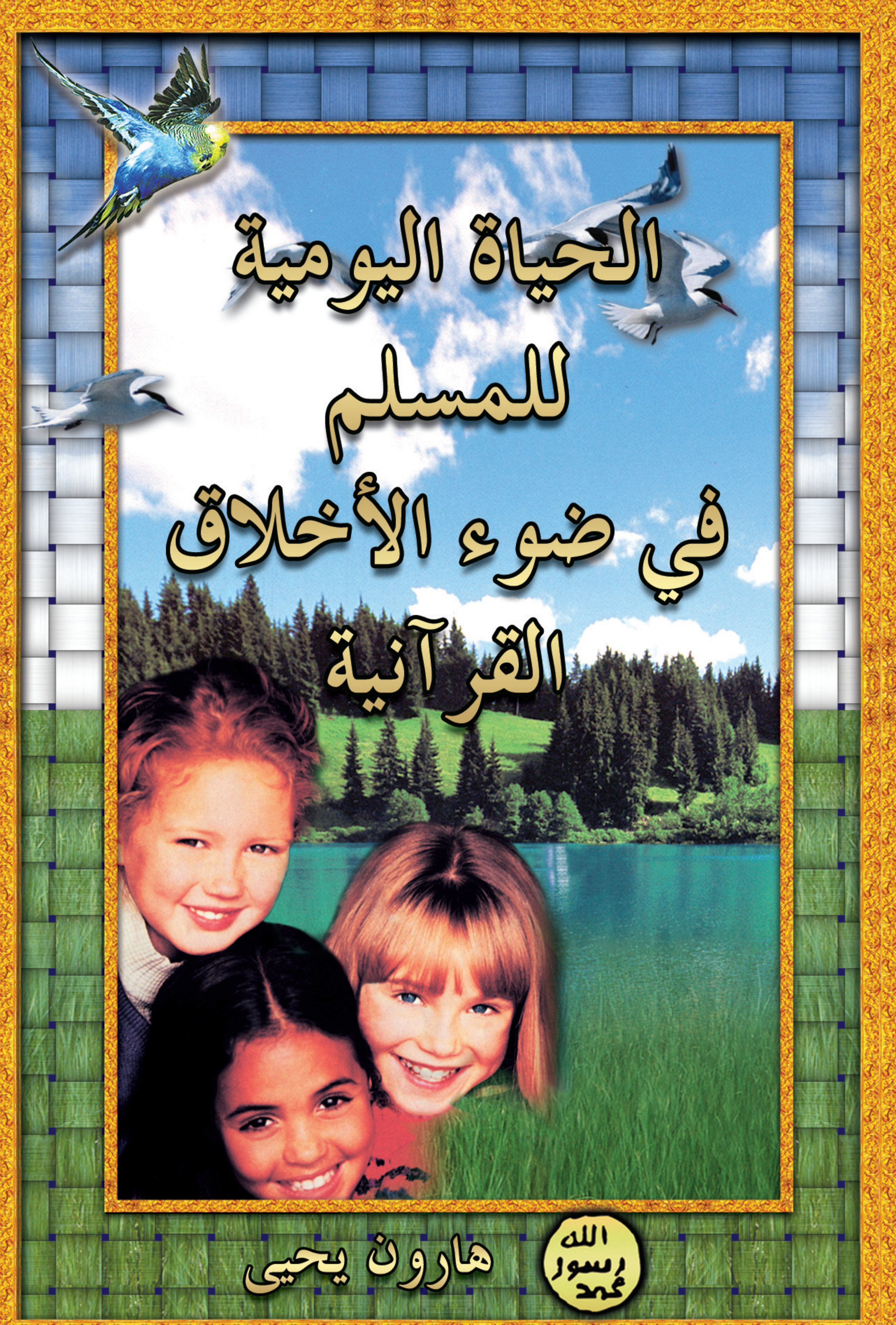

الحياة اليومية
للمسلم
في ضوء الأخلاق
القرآنية
هارون يحيى


بسم الله الرحمن الرحيم
الله
رسول
محمد

تطبيق الأخلاق الدّينية والتعاليم القرآنيّة في كلّ مجالات الحياة هو الطريق الوحيد لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة مصداقا لقوله تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.﴾ (النحل ٩٧)

والعيش في رحاب الأخلاق القرآنية يفتح للإنسان أفق الحياة الرّحب ويكسبه رجاحة العقل ويعطيه القدرة على التمييز بين الصحيح والخطأ والقدرة على تحليل الأمور بمنطق وعمق. بهذه الصفات تسهل حياة الفرد وتسمو إلى أسمى المراتب. إنّ حياة الإنسان المؤمن في سلوكه وحركاته وجلوسه وقيامه ومشيته وتقييمه للأحداث وكلامه ونقده وتعامله مع الصعوبات التي يعيشها تختلف تماما عن الناس الآخرين.

هذا الكتاب هو إطلالة على النشاط اليومي للمسلم في ضوء الأخلاق القرآنية، وقد تناولنا بالتحليل جملة الحلول التي يجب على المسلم اتّباعها لحلّ المشاكل اليومية، وغايتنا كشف الحياة السعيدة التي يعيشها المسلم بفضل التزامه بالأخلاق القرآنية، وهو دعوة لجميع الناس إلى الحياة السّامية اهتداء بالأخلاق القرآنية.

حول الكاتب



ولد عدنان أوقطار عام ١٩٥٦، وهو يستعمل الاسم المستعار هارون يحيى. ومنذ الثمانيات من القرن الماضي كتب عدداً كبيراً من المؤلفات في مواضيع مختلفة، إيمانية وعلمية وسياسية، إلا جانب ذلك يوجد للكاتب مؤلفات في غاية الأهمية تكشف زيف أتباع نظرية التطور، وتفند ادعاءاتهم، وتفضح الصلات الخفية، بين الداروينية والأيديولوجيات الدّموية.

وهدف المؤلف الرئيسي من وراء أعماله هو إيصال نور القرآن الكريم إلى شتى بقاع العالم، ودفع الناس بذلك إلى التفكير والتفكّر في قضايا إيمانية أساسية مثل وجود الله تعالى ووحدانيته، واليوم الآخر، وكذلك كشف الأسس المتهاونة لنظم الجاحدين وسلوكياتهم المنحرفة. وإلى حدّ الآن ترجم للكاتب نحو ٢٥٠ مؤلفاً إلى ٥٧ لغة مختلفة، وهي تحضى باهتمام بالغ من قبل شريحة واسعة من القرّاء. وبإذن الله تعالى سوف تكون كليات هارون يحيى خلال القرن الواحد والعشرين، وسيلة للبلوغ بالإنسان في شتى أنحاء العالم إلى مراتب السكينة والسلام والصدق والعدل والجمال والسعادة التي جاء التعريف بها في القرآن الكريم.



الدّفاع عن الفلسفات المادية والآراء الإلحادية والأفكار المُنحرفة الأخرى.

وإذا حدث وأن نافح منافح عن تلك النظريات بعد مطالعة هذه المؤلفات فلن يكون ذلك سوى عن عناد عاطفي لأنّ السّند العلميّ قد تمّ دحضه وإبطاله. ولا شك أن هذه الخصائص نابعة من قوة حكمة القرآن وحُججه الدّامغة. والكاتب لا يسعى من وراء عمله هذا إلى نيل المديح والثناء إنما هدفه وغايته هداية الناس والسير بهم في طريق الإيمان، كما أنّ ليس همّه تحصيل أيّ ربح أو مكسب ماديّ.

وعلى ضوء هذه الحقائق، فإن الذين يساهمون في نشر هذه الكتب ويحثون الناس على قراءتها لتكون وسيلة لهدايتهم هم في الحقيقة يقدمون خدمة للدين لا تقدّر بثمن.

وعلى هذا الأساس، فإنّ العمل على نشر الكتب التي ثبت بالتجربة أنها تشوش الأذهان وتُدخل البلبلة على الأفكار وتزيد من الشّكوك والتردّد ولا تملك تأثيرًا قويّا وحاسمًا في طرد الشبهات من القلوب، يُعتبر مَضيعةً للجهد والوقت. ومن الواضح أن هذه المؤلفات لم تكن لتترك كل هذا التأثير لو كانت تركز على بيان القوة الأدبية للكاتب أكثر من تركيزها على الهدف السامي المتمثل في هداية الناس. ومن لديه أدنى شك في ذلك فيمكنه أن يتحقّق من أن الغاية القصوى هي دحض الإلحاد ونشر أخلاق القرآن من خلال تأثير هذا الجهد وإخلاصه ونجاحه.

يتعين إدراك حقيقة مهمة، وهي أن الظلم والفوضى السائدين اليوم في أنحاء الأرض وما يتعرض له المسلمون من أذى سَببه تحكّم الفكر الإلحادي في شؤون العالم. والطريق الذي يضمن الخلاص من هذا كلّه هو إلحاق الهزيمة بالفكر الإلحادي وبيان حقائق الإيمان و إجلاء الأخلاق القرآنية بحيث يُصبح النّاس قادرين على التمسك بها. وبالنظر إلى حالة العالم وما يُراد له من مزيد جرّه إلى الفساد والشّرور والدمار فإنه من الضروري المُسارعة قدر المستطاع إلى القيام بما هو ضروري، وإلا فقد يُقضى الأمر ولاتَ حين مناص. وخلال القرن الواحد والعشرين، وبإذن الله تعالى سوف تكونُ كليّات هارون يحيى –من خلال نهوضها بهذه المهمّة– الوسيلة للوصول بالنّاس إلى مراتب السكينة والسلام والصدق والعدل والجمال والسعادة التي أوضحها لنا القرآن الكريم.



حول المؤلف

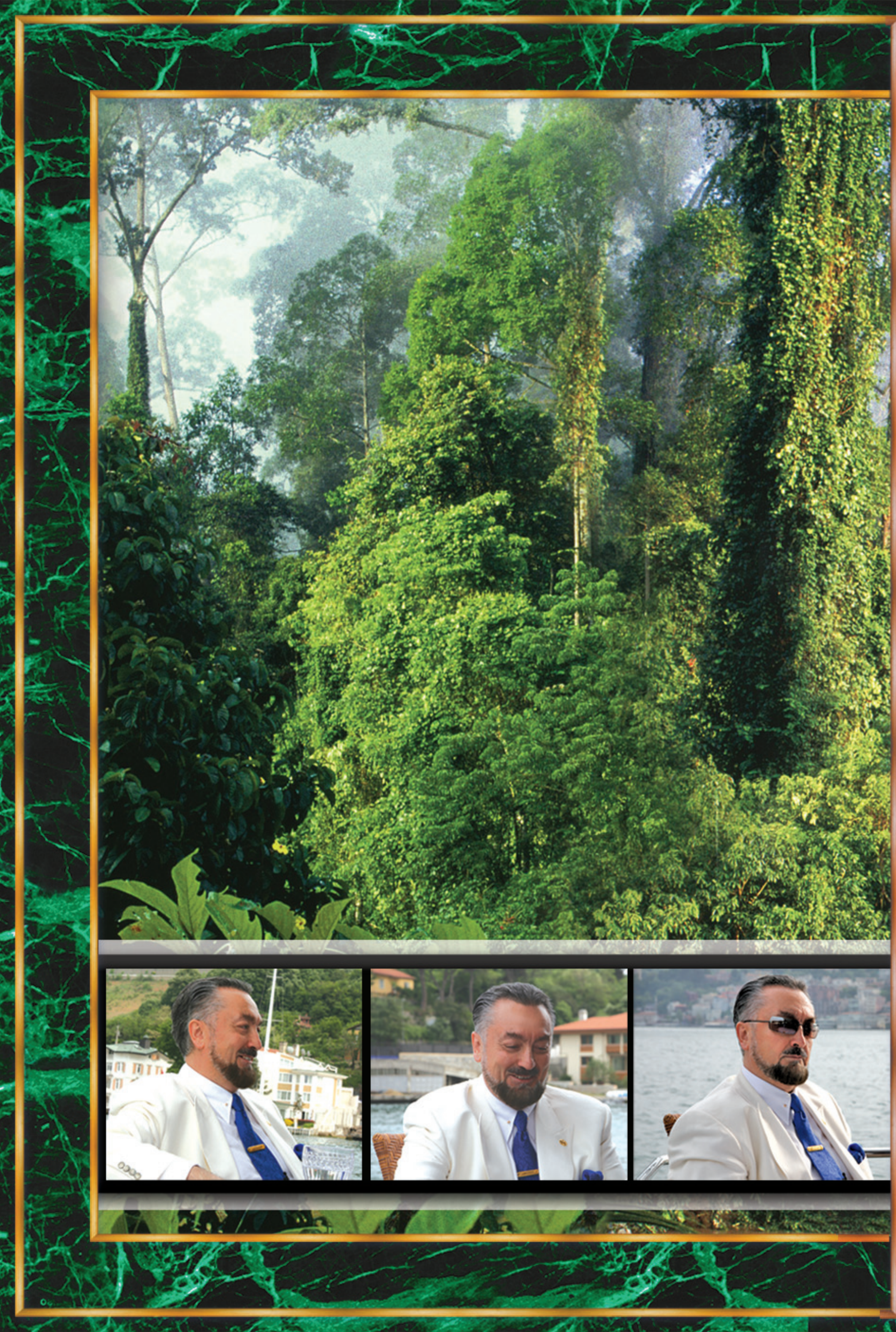
يتكون الاسم المستعار للكاتب من "هارون" و "يحيى" في ذكرى موقرة للنبيين اللذين جادلا ضد الكفر والإلحاد، بينما يظهر الخاتم النبوي على الغلاف رمزًا لارتباط المعاني التي تحتويها هذه الكتب بمضمون هذا الخاتم. ويشير هذا الخاتم النبوي إلى أنّ القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية، وأنّ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين. وقد اتخذ الكاتب لنفسه القرآن الكريم والسنة النّبوية دليلاً ومرشدًا، وفي جميع المؤلفات أخذ العهد على نفسه بنسف جميع الأسس التي تقوم عليها النظم الإلحادية وإبطال كل المزاعم التي تقوم عليها الحركات المناهضة للدّين. ويعتبر هذا الخاتم الذي مَهر به كتبه بمثابة إعلانٍ عن أهدافه هذه.

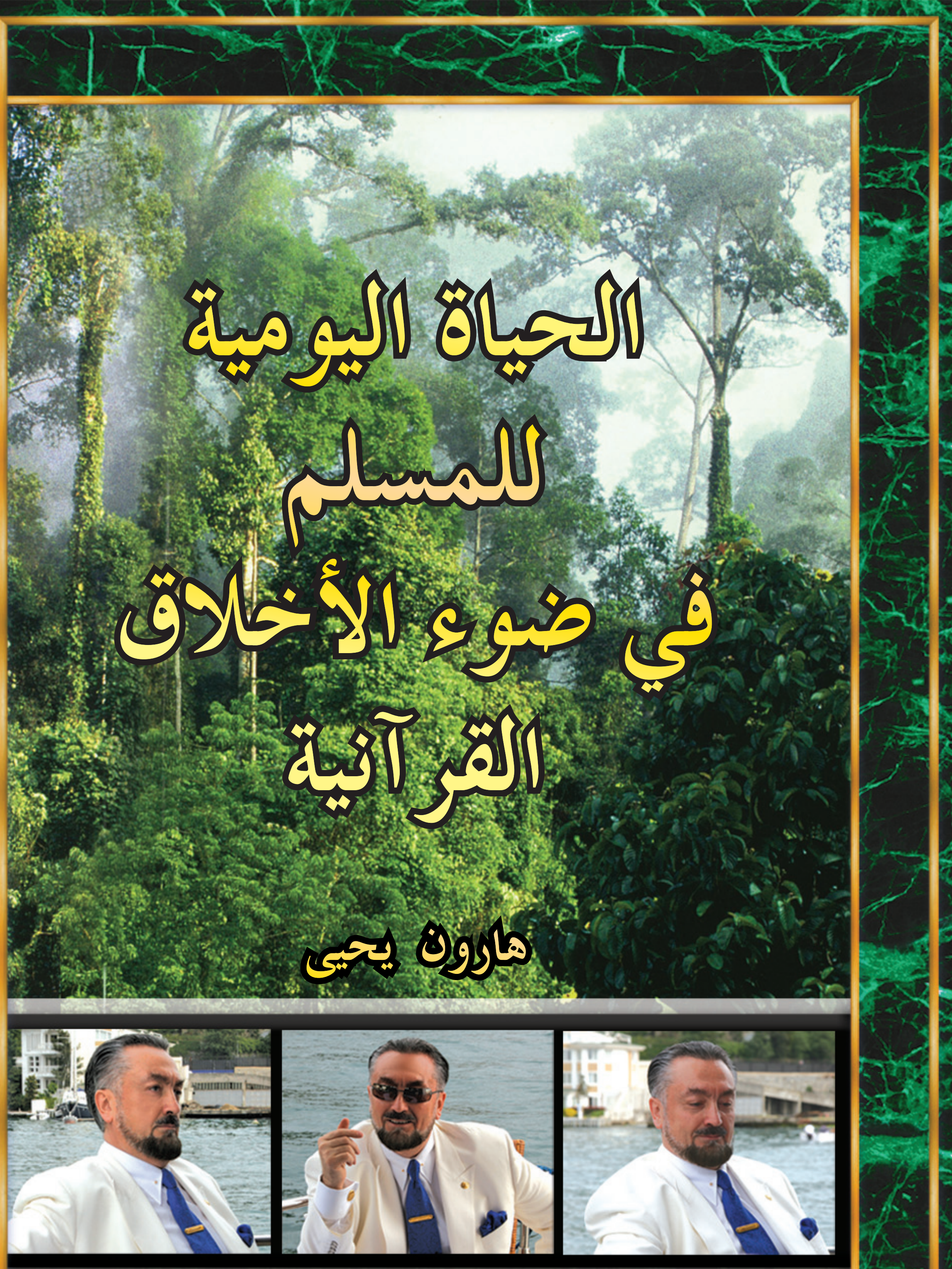
تدور جميع كتب المؤلف حول هدف رئيسي هو تبليغ نور القرآن ورسالته لجميع الناس، وحثهم على الإيمان بوجود الله ووحدانيته واليوم الآخر، وعرض تهافت النظم الإلحادية وفضحها على الملإ.

تحضى كتب هارون يحيى بقبول واهتمام كبيرين في شتى أنحاء العالم؛ من الهند إلى أمريكا، ومن إنكلترا إلى أندونيسيا، ومن بولونيا إلى البوسنة، ومن إسبانيا إلى البرازيل، ومن ماليزيا إلى إيطاليا، ومن فرنسا إلى بلغاريا وروسيا.

ترجمت كُتب المؤلّف إلى العديد من اللّغات الأجنبية، ومن بين تلك اللغات: الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية والأوردية والعربية والألبانية والروسية والبوسنية والإويغورية والاندونيسية والمالاوية والبنغالية والصربية والبلغارية والصينية والسواحلية (لغة مستعملة في تنزانيا) ولغة الهوسه (لغة منتشرة في إفريقيا)، ولغة الدّيولهي (لغة مستخدمة في موريس) والدانماركية والمجرية وغيرها من اللغات. و هناك إقبال كبير على قراءة هذه الكتب بهذه اللغات.

لقد أثبتت هذه المؤلفات جدارتها، ووجدت تقدير كبيرًا في كافة أنحاء العالم. وقد كانت سببًا في هداية كثير من الناس إلى طريق الإيمان وساهمت من جانب آخر في تقوية إيمان كثير من المؤمنين. وكل من يقرأ هذه الكتب ويتأمل فيها يلاحظ بوضوح الحكمة البالغة التي تكمن فيها والسهولة الموجودة بين ثنايا سطورها والصدق الذي يميز أسلوبها والعمق في تناول القضايا العلمية. وما يميّز هذه المؤلفات أيضا سُرعة تأثيرها وضمان نتائجها وعدم القدرة على نقض ما فيها ودحضه. وكل من يقرأ هذه الكتب ويتأمل فيها بعمق لن يكون بإمكانه بعد ذلك





الحياة اليومية
للمسلم
في ضوء الأخلاق
القرآنية
هارون يحيى

لفهرس



إلى القراء الكرام

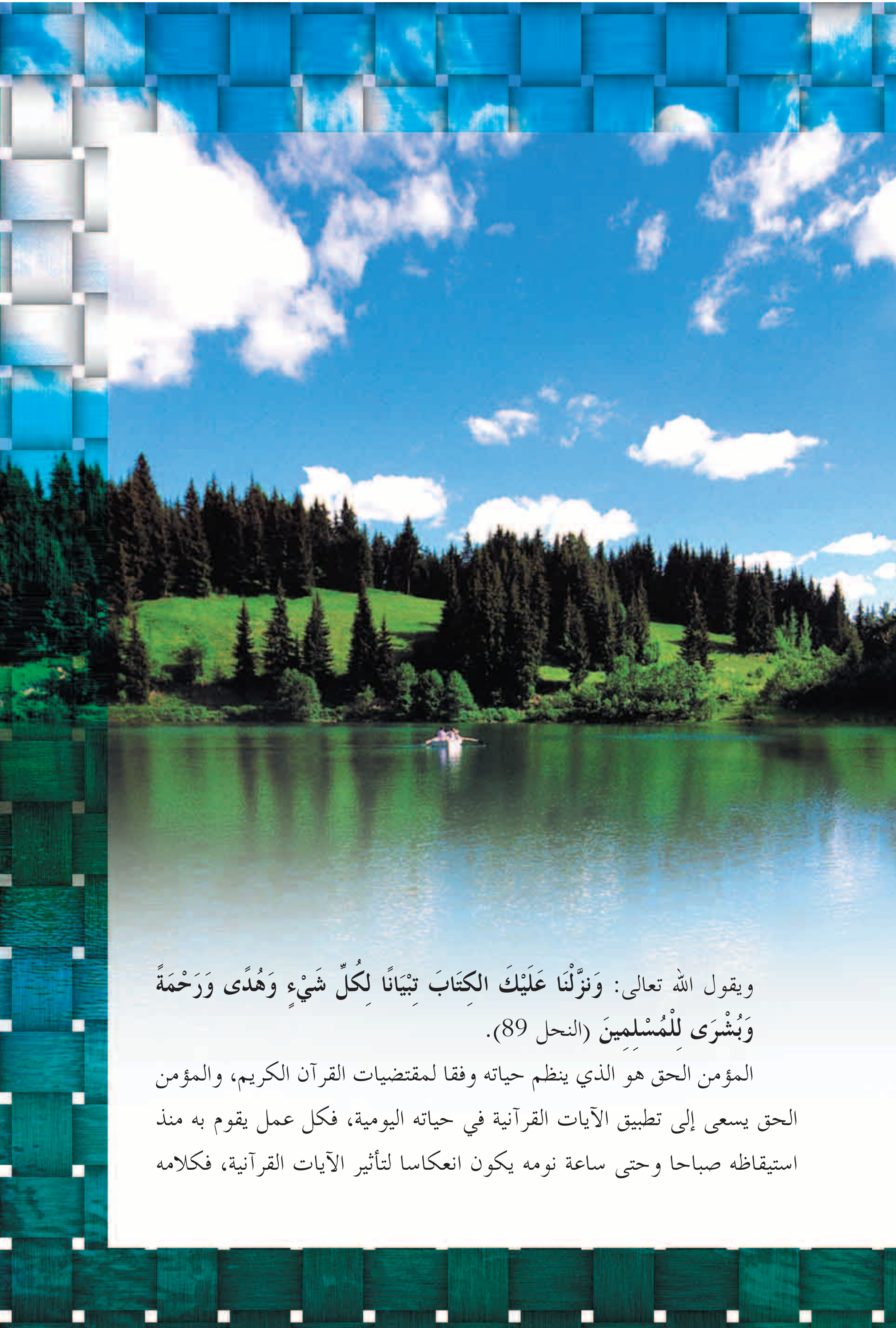
إن المواضيع الإيمانية الموجودة في جميع كتب المؤلف مشروحة وموضحة في ضوء الآيات القرآنية. وهذه الكتب تدعو الناس جميعًا إلى فهم هذه الآيات والعيش وفقا لتعاليمها. لقد تم شرح جميع المواضيع المتعلقة بآيات الله بحيث لا تبقى هناك أي شبهة أو تردد في ذهن القارئ. إن الأسلوب السلس والسهل والرصين المنبعث من القلب هو الذي يسَّر فهم هذه الكتب من قِبل الجميع صغارا وكبارا، ومن كل فئات المجتمع، بسهولة ودون أي صعوبة، وهو الذي جعل هذه الكتب كتبًا لا تستطيع أن تتركها قبل إتمام قراءتها. وحتى الذين اتخذوا موقفا معارضا للدين يتأثرون بالحقائق المذكورة في هذه الكتب، ولا يستطيعون دحض صحة محتوياتها.

وكما يستطيع القراء قراءة هذا الكتاب والكتب الأخرى للمؤلف على انفراد، فهم يستطيعون قراءتها بشكل جماعي، أو مناقشتها فيما بينهم والتسامر حولها. إن قراءة هذه الكتب بشكل جماعي ونقل كل فرد رأيه وخبرته إلى الآخرين أمر مفيد جدا.

علاوة على هذا، فإن المساهمة في تعريف هذه الكتب – التي لم تؤلَّف إلا لوجه الله تعالى ولمرضاته – ونشرها بين الناس تُعَد خدمة إيمانية كبيرة، لأن الأدلة والبراهين التي يوردها المؤلف في هذه الكتب قوية جدا ومقنعة، لذا كان على كل من يريد خدمة هذا الدين تشويق الآخرين لقراءتها والاستفادة منها.

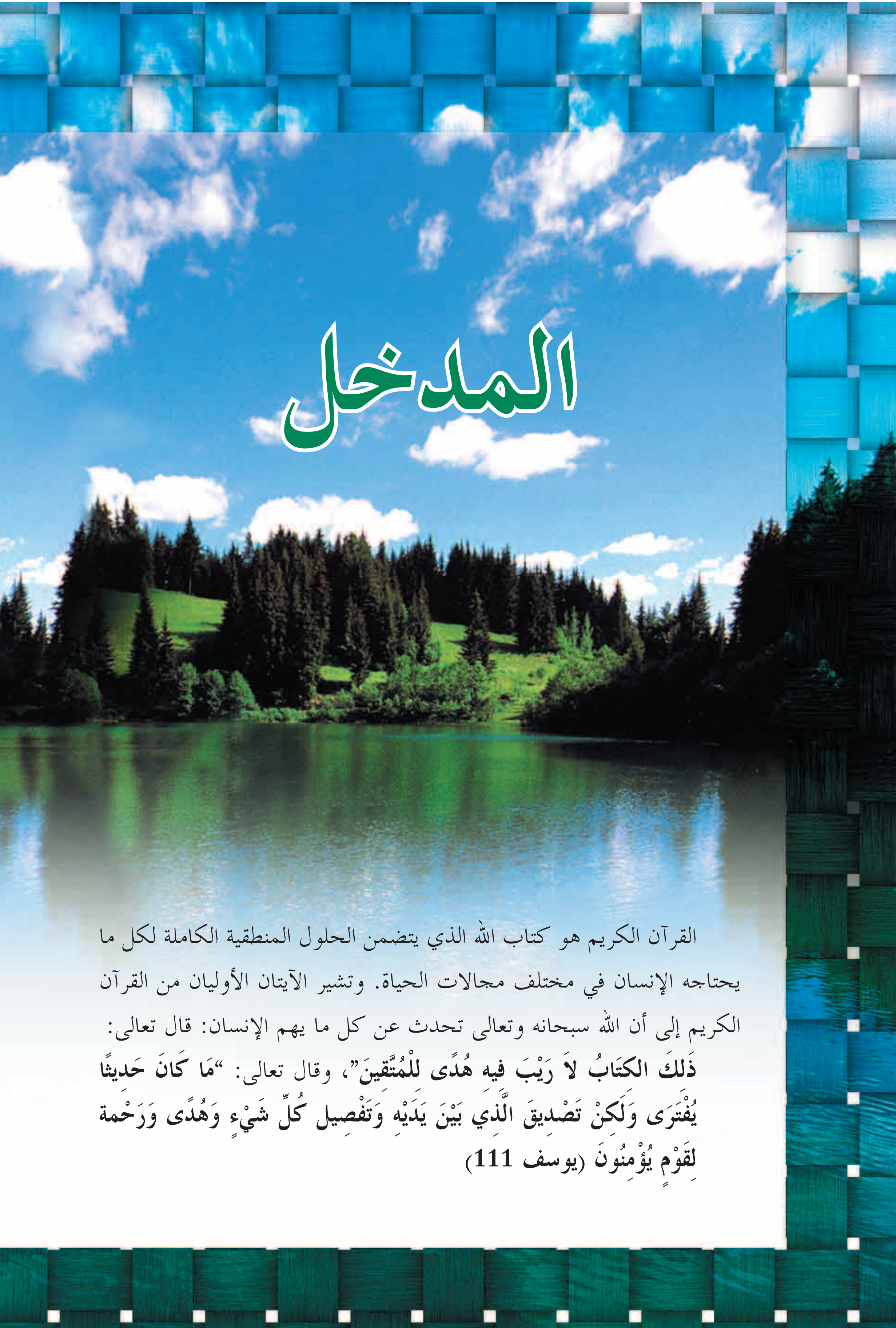
إننا نأمل أن يتسع وقت القارئ للاطلاع على استعراض الكتب الأخرى، الذي نقدمه في نهاية هذا الكتاب، ليكون على علم بوجود منابع ثرَّة ومصادر غنية من الكتب في المواضيع الإيمانية والسياسية، التي تعد قراءتها مفيدة وممتعة للغاية.

لا ترى في هذه الكتب ما تراه في بعض الكتب الأخرى من رؤى شخصية للمؤلف، ولا ترى شروحا وإيضاحات مستندة إلى مصادر مشبوهة، ولا أي نقص أو قصور في أسلوب الأدب والتوقير الواجب اتخاذه تجاه المفاهيم والمواضيع المقدَّسة، ولا ما يجُر القارئ إلى الحيرة والتردد أو إلى اليأس والقنوط.



ويقول الله تعالى: **وَنزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** (النحل 89).

المؤمن الحق هو الذي ينظم حياته وفقا لمقتضيات القرآن الكريم، والمؤمن الحق يسعى إلى تطبيق الآيات القرآنية في حياته اليومية، فكل عمل يقوم به منذ استيقاظه صباحا وحتى ساعة نومه يكون انعكاسا لتأثير الآيات القرآنية، فكلامه



المدخل

القرآن الكريم هو كتاب الله الذي يتضمن الحلول المنطقية الكاملة لكل ما يحتاجه الإنسان في مختلف مجالات الحياة. وتشير الآيتان الأوليان من القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه وتعالى تحدث عن كل ما يهم الإنسان: قال تعالى:

ذَلكَ الكتَابُ لاَ رَيْبَ فيه هُدًى للْمُتَّقينَ"، وقال تعالى: "**مَا كَانَ حَديثًا يُفْتَرَى وَلَكنْ تَصْديقَ الَّذي بَيْنَ يَدَيْه وَتَفْصيل كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمة لقَوْمٍ يُؤْمنُونَ** (يوسف 111)

وحركاته وسكناته كلها مستوحاة من الأخلاق القرآنية، تلك الأخلاق العالية التي هي حلية المؤمن طوال حياته، وقد جاء في القرآن الكريم:

قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (الأنعام، 162)

يعتقد بعض الناس أنّ الدّين مرتبط بأوقات معينة وعبادات معينة والحياة بالنسبة لهم زمنان: زمن للعبادة وزمن للأعمال الأخرى، إذ أنّهم لا يتذكرون الله والآخرة إلاّ عند أداء الصلاة والصوم والتصدّق أو الذهاب إلى الحجّ. أمّا بقية الأعمال فهي أعمال دنيوية مختلفة لا علاقة لها بالدّين، فالحياة الدنيا حسب رأيهم هي تعب و ركض و مشقّة . هؤلاء النّاس أبعد ما يكونون عن الأخلاق القرآنية فلهم حياتهم الخاصّة وأخلاقهم الخاصة ولهم نظرة تتماشي وفق أهوائهم، فهم لا يفهمون المعاني الحقيقية للأخلاق القرآنيّة.

يؤمّن الإنسان لنفسه حياة مختلفة عن بقيّة الناس لاتباعه الأخلاق القرآنيّة مبدأ ومنهاجا، فإيمانه بالقضاء والقدر يبعث فيه الطمأنينة ويحميه من الخوف والقلق و يبعث فيه الأمل في الحياة فلا يحسّ أبدا بالتشاؤم و تمنحه القوة لمواجهة مصاعب الحياة، و ينعكس ذلك على أقواله وأفعاله وقراراته وكلّ تصرفاته التي هي نتيجة حتمية لاعتماده الأخلاق القرآنيّة منهاجا لحياته، يظهر ذلك عندما يسير في الطريق وعند الأكل وعند الذهاب إلى المدرسة وعند طلب العلم وعند العمل وعند ممارسة الرياضة وعند الحديث وعند مزاولة الأعمال التجارية وحتى عند مشاهدة التلفاز أو سماع الموسيقى، عندها يعي الإنسان أنّ العيش ضمن التعاليم القرآنيّة تكليف وتشريف يجب تطبيقها بكلّ دقة سعيا إلى مرضاة الله تعالى في كلّ الأعمال و الحرص على عدم الانحراف عن تلك الأخلاق





القرآنية السامية.

الدين هو الأخلاق والوصايا والأحكام القرآنية القابلة للتطبيق في جميع مجالات الحياة، وهذا بلا شك هو الطريق القويم الذي إذا ما سار على نهجه الإنسان فاز في الدنيا والآخرة وحقق السعادة الكبرى، وقد قال الله تعالى:

مَنْ عَمَلَ صَالحًا منْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهْوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (النحل: 97)

إنّ العيش ضمن الأخلاق القرآنية يكوّن في الإنسان – بإذن الله – ملكة بعد النظر والعقل الراجح فيكون قادرا على التمييز بين الطريق السليم، والخطإ وكلّما التزم بالمنهج القرآني اكتسب القدرة على التفكير العميق وتحليل الوقائع تحليلا منطقيا. بفضل هذه الصفات تسهل حياة الفرد ويسمو إلى أعلى المراتب لأن الإنسان الذي يؤمن بالله ويحيي بالأخلاق القرآنية تكون جميع تصرّفاته وحركاته؛ قيامه ومشيته ونظرته للأشياء وتقييمه للأمور مختلف تماما عن الناس الآخرين.

إذن سنتناول بالتحليل في هذا الكتاب الأعمال اليومية والأحداث التي يعيشها المسلم على أساس الالتزام بالأخلاق القرآنية، وسنتعرض بالشّرح للسبل التي يتّبعها المسلمون لحلّ مشاكلهم اليوميّة غايتنا من ذلك تحسّس طريق الحياة السعيدة التي تحققها الأخلاق القرآنية، والله في كتابه الكريم يدعو كلّ الناس إلى هذه الحياة السّامية، فالطريق الوحيد لحياة خالية من الشك والقلق والخوف والحزن والكدر والعيش في جوّ ملؤه الطّمأنينة والسعادة، هو التحرّك ضمن الأخلاق القرآنية في كلّ ساعة و كلّ لحظة من لحظات الحياة.

عند الاستيقاظ صباحا

الحياة في ضوء الأخلاق القرآنية من أهمّ الفروق بين المسلمين والكافرين، فالمؤمنون يخافون الله و يحكّمون ضمائرهم وعقولهم -(لمزيد من التفاصيل أنظر هارون يحيى: العقل الحقيقي في القرآن)- لتجلّي طريق الإيمان والتيقّن من أنّ الّذين يُرجعون وجود المخلوقات إلى المصادفة أو ينكرون الحقيقة، هم في غفلة من أمرهم. المؤمن الحق يعي جيّدا أنّ الأعمال التي يقوم بها والأحداث التي يعيشها خلال اليوم منذ استيقاضه صباحا هي في الحقيقة انعكاس لما ذكره الله تعالى في آياته القرآنية، تلك الآيات تناولت الحديث عن المخلوقات على أنّها الدّليل البيّن على وجود الله ووحدانيّته وجلال صفاته وعظمة قدرته تعالى، ذلك ما نقصده بما أسميناه "حقائق الايمان". وحقائق الايمان هي العناصر الدّافعة للإيمان والوسائل المثبتة له.

المؤمن الذي يهتدي بالأخلاق القرآنية يجدد إيمانه ويكتشف الحقائق، فمع مطلع كل يوم جديد يفتح الإنسان عينيه ويرى النعم التي أسبغها الله على الإنسان، فيدرك أنه من الضروري شكر هذا المنعم العظيم. فنحن نفيق بعد ليلة كاملة من النوم ننفصل فيها عن العالم الموضوعي، وقد لا يتذكر الواحد منا سوى ثلاث أو خمس ثوان من الأحلام التي قد لا نتذكرها بتفاصيلها. وخلال تلك الفترة الزمنية تنفصل الروح عن البدن، فلحظات النوم إنما هي في الحقيقة ضرب من ضروب الموت لذلك قال الله تعالى:

اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ الَّتِي لَمْ تَمُت فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي


الجزء الأول
الحياة اليومية للمسلم
في ضوء الأخلاق
القرآنية



لكنه لا يضمن استيقاظه من الغد رغم خلاء جسمه من الأمراض ودون أن يتعرض إلى أيّ كارثة طبيعية أو حادث، لذلك على المؤمن أن يفكر في ذلك كلما استفاق صباحا، ويشكر الله على نعمة الحياة التي يهبه إياها مع مطلع كلّ صباح جديد، وعليه استغلال الفرصة الجديدة للتقرب إلى الله و الفوز بجنته، و ذلك بأن يبدأ يومه بالدعاء إلى الله ويقوم بالأعمال اليوميّة موقنا بأن الله يراقب أعماله وهو شاهد عليها فيسعى إلى مرضاته و يحرص على تطبيق أوامره، فيكون المؤمن بذلك قريبا من الله تعالى فتقلّ ذنوبه و يعي بأن الله يمتحنه في هذه الدنيا وعلى أساس ذلك يختار أعماله و أقواله.

هكذا خلق الله الإنسان ومنحه نعمه التي لا تحصى ولا تعد، وعلى الإنسان أن لا يغتر، وعليه أن يتأكد بأنه لا أحد غير الله عز وجل قادر على منحه تلك النعم، قال تعالى:

قُلْ آرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ الله سَمْعَكُمْ وَ أَبْصارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ الله يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (الأنعام 46)



قَضَى عَلَيْهَا المَوْتَ وَ يُرسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلِ مُسَمًّى... (**الزمر 42**)

كما يقول تعالى: **"وَهْوَ الَّذي يَتَوَفَّاكُمْ باللَّيْلِ وَ يَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَي أَجَلٌ مُسَمًّى....** (الأنعام 60)

هذه الآيات دليل على أنّ الروح تنفصل عن الجسد أثناء النوم ثمّ تعود إليه ليبدأ الحياة من جديد إلى أن يأتي أجل الموت الحقيقي فتخرج الروح من الجسد تماما دون رجعة. إذن يفقد الانسان قسما كبيرا من وعيه بالوجود والشعور بما حوله من الأشياء أثناء فترة النوم، ويعود له ذلك الشعور كاملا عند الاستيقاظ، و هذه حادثة على الانسان أن يفكّر فيها باعتبارها معجزة من معجزات الله تعالي.

يأوي الانسان إلى فراشه ليلا ويتمتع بنعمة النوم،



لأنهم يغفلون عن حقيقة مهمة وهي أن يومهم ذاك ربما كان الفرصة الأخيرة التي يمنحها الله لهم للتوبة والرجوع إلى طريق الحق. إنهم يحرصون على جمع المال وينسون هذه الحقائق المهمة، وينصب حرصهم على البحث عن الشهرة ونيل إعجاب الآخرين. إنهم يبدأون يومهم بنوع من اللامبالاة غافلين عن أن من واجبهم التفكير في خالقهم الذي سوف يسـألهم لا محالة عما قدمت أيديهم. نعم إن كل يوم جديد هو فرصة عظيمة للتوبة والعودة إلى الله والسعي في إرضائه:

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (الأنبياء، 1)

إنّ هؤلاء الناس في غفلة كبيرة و هم يرتكبون خطأ كبيرا. علينا أن لا ننسى أنّ كلّ صباح يمكن أن يكون بداية نهاية كلّ إنسان، قد تختلف أسباب الموت، كأن يموت الإنسان بحادث مرور أو نوبة قلبيّة أو بأيّ سبب من الأسباب، الموت يمكن أن يداهم الانسان في كلّ لحظة، لذلك على الانسان مثلما بيّنّا سابقا أن يبدأ يومه بالسعي إلى مرضاة الله و القيام بالأعمال الصالحة.



لا ريب أنّ الله تعالى هو القادر على منح الانسان القدرة على النّوم وهو القادر على إرجاع الحياة مع مطلع كلّ يوم جديد للتمتّع بنعمة الحياة.

الّذين يعون هذه الحقيقة يبدؤون يومهم بإحساسهم أنّهم قريبون من الله تعالى ويحسّون بالسّعادة بفضل ما أنعم الله عليهم من النعم. أمّا الجاحدون فإنه لا يمكنهم بأيّ حال من الأحوال الوعي بقيمة هذه النّعم، ولا يستطيعون تذوق السّعادة مثلما يتذوقها المؤمن الحق، هم عادة يقومون في الصباح متثاقلين يودّون البقاء في فرشهم الساخنة وقتا أطول، وهم يحسّون بالقلق عند بداية كل يوم جديد لأنهم مقدمون على أعمال روتينيّة تبعث فيهم الملل، لذلك يحرصون على التمتّع بكل دقيقة في النّوم والراحة. العديد من الناس ينهضون من النوم متوتّرى الأعصاب، عبوسي الوجوه، وكل ذلك ناتج عن خلل في إيمانهم.

إن المنكرين المحرومين من نعمة الإيمان يدورون في حلقة مفرغة منذ قيامهم صباحا وحتى انتهاء يومهم



والعجز، وكمثال على ذلك فجسم الإنسان يتسخ بسرعة، ولكن في المقابل خلق الله للإنسان الكثير من النعم التي تساعده على النظافة مثل الماء والصابون وعلمه طريقة استعمالها، قال تعالى:

إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا (الانشراح، 5-6)

نودّ التأكيد هنا أنّ المؤمن الحق فقط يستطيع اكتشاف الحكمة من خلق النّعم الموجودة، ولذلك يحمد الله ويشكره، والمؤمن الحق له القدرة على التفكير تفكيرا سليما.

والمؤمن يحمد الله على نعمة النظافة ويشكره على ما منحه من وسائل التنظيف. والمؤمن يعي جيدا أن النظافة جزء من الإيمان وهي طريق للتقرب من الله عز وجل، فالله طيب لا يقبل إلا طيبا فبها ينال العبد مرضاة الله وثوابه، يقول تعالى في كتابه الكريم: **وَثِيَابَك فَطَهِّرْ وَ الرِّجْزَ فَاهْجُرْ** وهذا أمر لجميع



عند النظافة

عند النهوض من النّوم يلاحظ الانسان العديد من التغيّرات في جسمه وفي ذلك حكم عديدة، فانتفاخ الوجه وتجعّد الشعر والروائح الصادرة من الفم والجسم، كل ذلك دليل على عجز الانسان وضعفه أثناء النوم. إذن على كل إنسان عند قيامه في الصّباح أن يغسل أطرافه وينظف أسنانه، إنّه منهج المسلم الّذي اتّخذ من القرآن طريقا، فهو يحسّ بالتّواضع ويزداد قناعة بأنّ الكمال لله وحده و النقصان صفة إنسانيّة. كما يتأكد المؤمن كلّما نظر في المرآة أنّ إمكانياته لا تسمح له بتحديد مظاهر جماله بل هي هبة من الله تعالى.

هكذا خلق الله في عباده صفات النقص



إذن الماء هو العنصر الأساسيّ لنظافة الجسم والبيت والأشياء الأخرى، فهو ينظف الأوساخ ظاهرها وباطنها كما ينعش الانسان ويريحه من التعب، ويفيد الماء أيضا في إزالة الشعور بالإرهاق والقلق ويساهم في تخفيض الأمراض لدى الانسان ويزيل الطاقة الكامنة التي تتسبب في وهن الجسم، تلك الطاقة الكامنة في الجسم ولا يستطيع الانسان رؤيتها بالعين المجردة لكننا نحسّ بها في بعض الأحيان عند قيامنا بحركة خلع قميصنا الصّوفي فينبعث صوت، أو عندما نلمس شيئا نحسّ كأنّه لسعة كهربائية تهزّ أجسامنا، كما نحسّ أحيانا بانتفاش الشعر. هكذا يتخلّص الانسان من كلّ ذلك عندما ينّظف جسمه فيحسّ أنّ جسمه خفيف نشيط ويحسّ بالرّاحة الكاملة مثلما يساهم طلوع الشّمس بعد يوم ممطر فى بعث البهجة والفرحة في القلوب لأنّ الماء يقضى على تلك التراكمات الموجودة في الجسم والباعثة على القلق والوهن.

فالمؤمن يحرص دائما على النظافة والاعتناء بنفسه لأن الله يحب الطاهرين، وأهل الجنة هم من الذين يحرصون على النظافة كما تذكر بعض الآيات في وصف أهل الجنة: "**كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ**..." (الطور، 24). كما تبشر آيات أخرى "بأزواج مطهرة" في الجنة (البقرة، 25؛ آل عمران، 15؛ النساء، 57).



المؤمنين بأن يلتزموا بالطهارة. وقد ذكر الله الإنسان بأنه هو الذي أنزل نعمة الماء فقال:

**وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ
رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَ لِيَرْبِطَ عَلَى
قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ**

(الأنفال، 11)



أغلب الأحيان خاصّة عند البرد بغسل شعورهم. وتجد بعض النّساء يذهبن إلى صالون الحلاقة والتجميل لغسل شعورهن وترتيبها بشكل مناسب ولا يرين بعدها حاجة إلى غسله إلاّ بعد أن تفسد تسريحته. كما يحاولن إخفاء رائحة أجسامهنّ بوضع العطور القويّة، لكنّهنّ لا يعين أنّ تلك الروائح لا تزيد البدن إلاّ وهنا على وهن.

أماّ بالنسبة إلى الملابس، فهناك أناس لا يعتنون إلاّ بملابسهم الخارجيّة فلا يغسلون قمصانهم وسراويلهم إلاّ إذا بدت عليها بقع ظاهرة للعيان، أمّا رائحة السّجائر والأطعمة ورائحة العرق وغيرها من الروائح الكريهة فهم لا يرون فيها حرجا، وهي ليست بالأسباب الكافية حتى تدفعهم إلى غسل ثيابهم. وعلى هذا النحو نلاحظ أنّ العيش بهذا المنطق لا يسبب إلاّ الأضرار سواء للكبار أو الصغار، وبسبب ذلك تنتشر أمراض مختلفة نتيجة التغذية غير السليمة وعدم الحرص على النظافة الشاملة. فالتدخين



المؤمن الحقّ هو من يسعى إلى بناء جنّة على الأرض بأن يطبّق قدر الإمكان ما وعد به الله المؤمنين في الجنّة الحقيقيّة، لذلك يهتمّ المؤمنون اهتماما كبيرا بنظافة أجسامهم.

هنا نتوقّف عند نقطة مهمّة جدّا، بعض النّاس يهتمون بالتجمّل والنظافة فقط عندما يكونون فى محيط مختلط مع أناس آخرين ويهملونها فى أوقاتهم الأخرى، فلا يغسل وجهه إلى المساء ويبقي مبعثر الشعر والملابس، يتجوّل بقميص النّوم ولا يرتّب فراشه طوال اليوم. والأواني مبعثرة هنا وهناك في أرجاء المطبخ، فهم يعيشون بهذا المنطق الخاطئ.

إنّ من يعيش بهذا الأسلوب تبقى نظافته خارجيّة ظاهريّة، وهمّه الوحيد إخفاء أوساخه عن العيون، هؤلاء النّاس يرون أنّ الغسل أو تغيير المنشفة والفراش و الملابس وترتيب المنزل فيه مضيعة للوقت، وهم لا يقتربون من النظافة إلاّ عند اكتشاف أوساخ ظاهرة للعيان ويكتفون في



التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُم الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيهِم الخَبَائِثَ" (الأعراف، 157)

"وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" (البقرة، 125)

"قَالُوا رَبُّكُم أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُم فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا" (الكهف 19)

"وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا" (مريم، 13)

المؤمن الصّادق من يزداد خوفا من الله كلّما فكّر فى عظمة

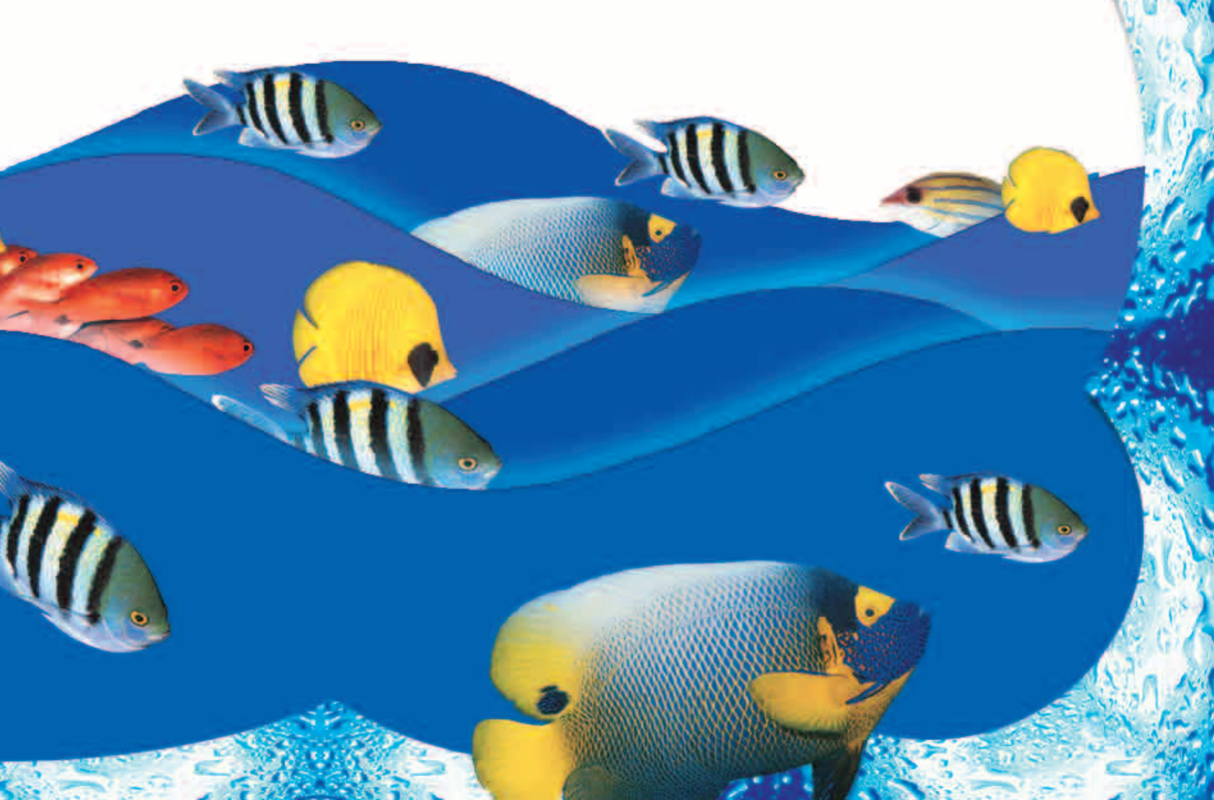
فى الأماكن المغلقة يكون سببا فى اصفرار المكان والتأثير على جلد الإنسان وتأذّي الكبد. وهذه لا تعدو أن تكون أضرارا ظاهرة تصيب الجسم فقط، لكن العيش فى الأماكن المتسخة يسبب أمراضا نفسية أيضا، فيكون الانسان بعيدا عن الذوق السليم والجمال وحتى التفكير السليم، وبذلك تكون عاقبة هذا الاختيار سيئة ووخيمة على الانسان.

حث الإسلام المؤمنين على النظافة وأمرهم بالعناية بنظافة مأكلهم ومشربهم وملبسهم وقد قال الله تعالى في هذا الشأن:

" **يَا أَيُّها النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِى الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا...**" (البقرة 168).

"**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُم الطَّيِّبَاتُ...**" (المائدة، 4).

"**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي**





التي خلقها الله تعالى فتكون فى خدمة الإنسان، ولو لم توجد هذه المخلوقات لما استطاع الإنسان أن يكتسي أو يستر نفسه.

ورغم هذه الحقائق تجد من الناس من ينكرها أو يكون في غفلة عنها، لذلك نراهم لا يقدّرون النعم التي أنعمها الله عليهم، ربّما يكون ذلك لأنهم تعودوا على وجود هذه الملابس منذ الولادة فنسوا أنّ تلك الثياب هي في الحقيقة نعمة من نعم الله تعالى، وبالتالي لا بدّ من شكره عليها.

لقد خلق الله سبحانه وتعالى النّعم فى الأرض من أجل الإنسان فقط حتّى يشكره عليها، لذلك علينا النظر فى حكمة الله من خلقه للثياب والفوائد الجمّة التي تعود على الإنسان منها. والثوب يقي الجسم من صرّ البرد و حر الشّمس وغير ذلك من الأخطار الخارجيّة. وعدم لبس الثياب يؤثر تأثيرا سلبيا على جلد الإنسان الحسّاس فيصاب بالألم و يصبح مهدّدا



عند ارتداء الملابس

يختار المؤمن ما يرتديه كلّ يوم، وعندما يرتدى ملابسه تتجدّد فى ذهنه حقيقة مهمة تتمثل في أن الثّياب نعمة من نعم الله الكثيرة التي أنعم بها على الإنسان وله فى ذلك حكم كثيرة، ويستفيد كل النّاس من هذه النّعمة. لكنّ المؤمنين الّذين يعيشون فى رحاب الأخلاق القرآنيّة هم فقط يعرفون أنّ ذلك لطف ورحمة من الله بعباده فيشكرونه ويحمدونه على أن كساهم. والثياب عند المؤمن تعنى الملابس التي تستخرج من الصوف أو القطن أو الحرير، كما أنّ الملابس التي تصنع فى كلّ لحظة يلبسها الإنسان من أبسطها إلى أفخرها مصدرها المخلوقات الحية



وتلك وسيلة من وسائل التّقرب من الله تعالى و شكره على نعمه الجمّة.

ما يميز المؤمن انه –عند اختياره لملابسه– لا يسرف ولا يصل حتى البذخ بل يشتري الملابس المحترمة معقولة الثمن وذلك استجابة لأمر الله تعالى حيث قال:

" وَالّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا " (الفرقان 67).

والمؤمن الذي يعيش وفق أخلاق الإسلام يحرص على نظافة هندامه لأن الله تعالى يأمرنا بالقول: " **وَ ثِيَابَكَ فَطَهِّر وَ الرِّجْزَ فَاهْجُرْ** " (المدثر 4-5). والمؤمن الصادق هو الذي ينزل عند أوامر القرآن الكريم، فهو لا يكتفي باختيار ملابس للستر كيفما كانت بل هو مطالب أن يكون حسن المظهر. فالزينة أمر مطلوب لأن المؤمن يأخذ أوامر الله كلها ولا يدع منها شيئا. فلا يستقيم أن يلبس الواحد منا لباسا غريبا شاذا ينفر منه الناس أو يثير سخريتهم، قال تعالى:

قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَ رِيشًا..." (الأعراف، 26).



بالأمراض، زيادة على التشوهات التي قد تلحق بالجسم فتفسد منظره الجميل.

لقد ذكرنا الله سبحانه وتعالى بأهمية الثوب والحكمة منه في ستر العورة وحماية البدن فقال تعالى:

"يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِى سَوْآتِكُمْ وَ رِيشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ" (الأعراف 26).

فإذن، الثياب تمنح الإنسان احتراما وتزيد جسمه جمالا وجاذبية. ولاشكّ أن اللّباس من أهمّ النّعم التي أنعمها الله علينا وهو حاجة ملحّة لا يمكن الاستغناء عنها، لذلك نرى المؤمن الحقّ يحرص دائما على اختيار اللّباس اللاّئق النّظيف،



"إِنَّ الله يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَات جَنَّات تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤًا وَ لِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ"
(الحج، 23).

وقال تعالى: **"يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَاسْتبْرَقٍ مُتَقَابِلِين "** (الدخان، 53) .

ويقــول أيضا: **"عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَاسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا آسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ...** " (الإنسان، 21).

هكذا نلاحظ أنّ الله تعالى أنزل للإنسان لباسا من الحرير والصّوف وأنزل الذّهب والفضة لتكون زينة للإنسان في الدّنيا وليجد مثلها في الآخرة. والمؤمن الحق سواء امتلك تلك الزينة أو لم يمتلكها فهو حافز يجعله يفكر فى الجنّة ويسعي إلى الفوز بها. والمؤمن يبحث دائما عن الحكمة من خلق الله لتلك الأشياء والنعم التي هي متاع الحياة الدنيا. أمّا غايته فهي نعم الآخرة الأبدية التي لا زوال لها.

كما أنّ لنا فى أحاديث الرسول – صلى الله عليه و سلم – أسوة حسنة و وصايا يجب الأخذ بها في خصوص نظام اللّباس، مثالنا على ذلك ما قاله حفيد الرسول عليه الصلاة و السلام سيدنا الحسن فى ما يخصّ اللّباس إذ روى أن رسول الله عليه الصلاة والسلام أمر أصحابه أن يلبسوا أحسن ما عندهم من الثياب. وقد وصف الصحابة الرسول عليه السلام بأنه كان يلبس أحسن كان عنده من اللباس.

رأى رسول الله صلّى الله عليه و سلّم أحد أصحابه وقد أهمل نفسه، وعليه علامات البؤس عما إذا كان عنده شيء من متاع الدنيا. فأجابه بأن الله قد وهبه من الخير الكثير. فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصحا إياه بأن بظهر نعمة الله عليه، لأن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عباده.

وقد بينت العديد من الآيات القرآنية أن اللباس والحلي من نعم الجنة، قال تعالى:





إن للمؤمن الصادق ميزة لا نجدها عند غيره، وهي أن لباسه يبعث على الطمأنينة مهما كانت الحالة النفسية للطرف المقابل، ويتصرف المؤمن حينها حسب تلك الحالة، فهو بشكله الظاهر المتواضع يرفع الحواجز بينه وبين مخاطبه، ويزيل ما عنده من هواجس منذ الوهلة الأولى.

خلاصة القول، إنّ المؤمن يتّخذ من الرّسول صلّى الله عليه وسلم القدوة، فهو دائما نظيف ومرتب سواء في بيته أو في مجتمعه، معتنيا بنفسه، محترمَ اللّباس غايته من ذلك كسب مرضاة الله تعالى.



يقول تعالى:

" إِنَّ الَّذِينَ آمَنوا وَعملُوا الصَّالِحَات إنَّا لاَ نُضيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمْ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ مُتّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوابُ وَ حَسُنَتْ مُرْتَفَقًا" (الكهف 30-31) .

إنّ المؤمن الذي يعيش في رحاب الأخلاق القرآنية يسعى من خلال الاهتمام بمظهره إلى تحقيق غايات منها: عند ربط علاقات مع الآخرين لأوّل مرّة يحصل انطباع ايجابي عند رأيته بمظهر لائق خاصّة إذا كان داعية للإسلام والأخلاق القرآنية فيحرص على أن يكون نظيفا بشوشا، ولا يُفرط في ارتداء اللّباس الفاخر. فهو هنا يقدم رسالة للآخرين من خلال مظهره تدل على حرصه على تطبيق الأوامر الإلهيّة فيكسب تقديرهم واحترامهم.



في بعض الآيات:

"**يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ** " (الذاريات، 19)

"**تَلْفَحُ وُجُوهَهُم النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ**"(المؤمنون، 104)

"**وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا**" (الفتح 13)

المؤمن الصّادق من يزداد خوفا من الله كلّما فكّر في عظمة نار جهنم.

كلّ نوع من الأطعمة لها فائدة خاصة بها، كالخبز والعسل والحليب والطماطم والفلفل والزيتون والبيض والشاي والقهوة. كلّها موادّ لها طعمها ورائحتها وقيمتها الغذائية ولونها الخاصّ بها. وكلّ نوع منها هو نعمة كبيرة لأنّه يغذّي الجسم بما يحتاجه من بروتينات وأمينوسيتات وكربوهيدرات وزيوت وفيتامينات ومعادن وسوائل. ولكي نعيش حياة سليمة علينا أن ننظّم غذاءنا من خلال تناول الأطعمة والغلال والخضروات والمرطبات والحلويّات وكلّ أنواع الأطعمة التي نحبّها بشكل منتظم لكي نسد حاجتنا الغذائية ونشعر بلذة هذه النعم.

في الحقيقة إنّ ما ذكرناه معروف لدى كل واحد منا، فمنذ اللحظة التي



عند فطور الصباح

المؤمن الذي منحه الله ملكة التّفكير والتأمل يعرف جيّدا عندما يدخل إلى المطبخ لتناول فطور الصّباح أنّ كلّ النعم والمأكولات الّتي خلقها الله هي في الأصل إشارات لدعوة الناس للحمد والشكر.

لنأخذ مثالا على ذلك، النار التي نستعملها لطبخ الطّعام يمكن أن تكون سببا للعديد من الأضرار فيمكنها أن تلتهم كلّ شيء، لكنّها في الوقت نفسه ضروريّة لطبخ الطعام كي يصبح صالحا للأكل، وهي ضرورية لصنع العديد من المنتوجات الاستهلاكية، فهي لذلك نعمة كبيرة.

وبعبارة أخرى فالنار شأنها شأن بقية النعم الأخرى جعلت ليستخدمها الإنسان، قال تعالى:

"وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (الجاثية، 13).

والنّار كذلك مصدر تذكير للمؤمن بعذاب جهنّم أعدّت للكافرين وهي التي وصفها القرآن بأنّها نار شديدة سيُرمى فيها المنكرون الكافرون كما جاء



الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (النحل، 68-69).

إذا تفكّر المؤمن في كيفيّة صنع العسل، اكتشف معجزة خلقه، واقتنع بلا شكّ أنّه من المستحيل أن يتحوّل ما تأكله النّحلة من رحيق الأزهار والغلال إلى عسل لا مثيل له بمجرد المصادفة العمياء، وبذلك يزداد تقرّبا من الله تعالى ويحصل عنده يقين بأنّ النّحلة الصغيرة إنما تطيع الله في عملها، وهي في إتقانها ومثابرتها على عملها تنجز ما يلهمها الله تعالى إياها.

كل ذلك وغيره أوجده الله تعالى لفائدة الإنسان، فالأغذية المختلفة مثل



يستقبل فيها الإنسان الحياة تصبح جميع هذه النعم في متناوله وتحت تصرفه، غير أن أكثر الناس ينسون حقيقة هذه النعم فيتعاملون معها تعامل عاديا خاليا من أي روح رغم ما فيها من جمال ونفع، وبالتالي تغيب عن أذهانهم القيمة الحقيقية لهذه المخلوقات. ولو تاملوا فيها تأملا ممتزجا بالإيمان لأدركوا أن تلك المأكولات والمشروبات اللذيذة لها فوائد مختلفة وعظيمة، وكل واحدة من هذه المخلوقات تعد بحد ذاتها معجزة من المعجزات. ولنأخذ كمثال على ذلك العسل، فهذه المادة عظيمة النفع تصنعها حشرة صغيرة لا يتعدى حجمها بضع غرامات. وللعسل فوائد غذاشية وطبية، ففيه الفيتامينات والمعادن وغيرها من المواد الأخرى.

وقد ذكر القرآن الكريم فوائد العسل فقال:

"وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ



إنّ الحليب يتكوّن من أنفع الموادّ لصحّة الإنسان. فعلم الله وسع كل شيء، أخرج من المرعى الأخضر حليبا أبيض ناصعا بفضل النّظام اللامتناهي في الدّقّة الّذي وضعه في جسم البقرة فيتحول الحشيش الأخضر إلى سائل أبيض. يقول تعالى في هذا الشأن:

"وَإِنّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِه مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ" (النحل، 66).

كما هو معلوم فإنّ الحليب مادّة غذائية غنية بالفيتامينات وهي عنصر غذائي يحتاج إليه الصغار



اللحم والحليب والجبن وغيرها من الأغذية الحيوانية نعمة من عند الله عز وجل، وتنبها آيات القرآن الكريم إلى ذلك:

"إِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيــرَةٌ وَمِنْهَا تَــأْكُلُونَ" (المؤمنون، 21).

هذه الآية تتحدّث عن فوائد ما تحمله الحيوانات في بطونها، فمثلا: ما تأكله البقرة من حشائش وما تشربه من ماء بعضه يذهب إلى الأوعية الدّموية وبعضه يذهب إلى الأعضاء الدّاخلية ويخرج ما تبقّي منه فضلات. من كلّ هذا الخليط يخرج سائل أبيض ناصع، نظيف، له رائحة طيّبة وفوائد جمّة للإنسان ألا وهو الحليب. ألا يعتبر هذا معجزة حقيقية؟



نباتي، تمر أوراقه بمراحل مختلفة ليصبح على هيئته الأخيرة المعروفة. له رائحة طيبة، يبعث النشاط في الإنسان بعد أن يتحول إلى مشروب سائغ للشاربين. كما تخرج من الأرض مئات الأنواع من الأعشاب خلقها الله رحمة بعباده فيها الغذاء وفيها الشفاء، قال تعـــالى:

"وَهُوَ الَّذي أَنْشَأَ جَنَّات مَعْرُوشَات وَغَيْرَ مَعْرُوشَات وَالنَّخلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وغَيْـــرَ مُتَشَابِه"

(الأنعام، 141) .

الذي نريد أن نؤكد عليه هنا هو أن الله تعالى خلق النعم الكثيرة اللامحدودة رزقا للعباد واختبارا لهم بالفقر والغنى. والفائزون بجنة الخلد هم المؤمنون الصادقون أصحاب الاخلاق العالية. فمن الناس من تجد على موائده شتى أنواع الأطعمة، أما



والكبار لتأمين حياة خالية من الأمراض. البيض أيضا منتوج من منتجات الحيوان صغير الحجم لكنّه كثير الفوائد، له قيمة غذائية عالية فهو مخزن للبروتينات والفيتامينات والمعادن تبيضه كلّ يوم دجاجة لا حول لها ولا قوة بالرغم أنّ البيض لا يمثّل حاجة بيولوجيّة بالنسبة إلى ذلك الحيوان. وعندما يفكّر المؤمن كيف تكوّن السائل الّذي بداخل البيضة، وعندما يمعن في دقّة صنع البيضة يزداد دهشة أمام قدرة الله وكمال عظمته.

الشاي عنصر ضروري من عناصر

فطور الصباح

و منتو ج



الأخلاق القرآنية يتخذ من النعم التي أنعمها الله عليه سبيلا للتقرب أكثر إلى الله والتمسّك بإيمانه، ويحمد الله على تلك النعم وإن كانت قليلة لأنّ الله تعالى وعد المؤمنين الصادقين الشاكرين بمزيد من الخير والرّزق، أماّ المنكرون لهذه النعم فجزاؤهم العذاب الشديد في الآخرة. قال تعالى:

"لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ" (إبراهيم، 7).

كلّما نظر الإنسان إلى محيطه اكتشف الرّوعة والكمال في الخلق، ابتداء من المأكولات وما تحتويه من منافع للإنسان الذي خلق الله فيه أعضاء مختصّة لأكل تلك المأكولات. فانظر إلى الفم وما يقوم به من وظائف من أجل تناول



المؤمن الصادق فهو يعرف ان من مظاهر شكر النعمة ألا يسرف في الأطعمة مهما كان غنيا. فبدل أن يكدس المأكولات، فيذهب بعضها إلى الزبالة يكتفي بصنف أو صنفين شاكرا لله على أنعمه. فالمؤمن لا يبطر ويتكبر إن كان غنيا ولا ييأس أو يقنط إن كان فقيرا. فهو يعي جيدا أن هذه الدنيا هي اختبار له، وكل ما عليها ومن عليها فان، يقول تعالى:

"وَنَبْلُوَكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ" (الأنبياء، 35).

لذلك فإنّ الإنسان الذي يعيش في ضوء



بشكل يتوافق مع دورها، كما وضعت في مكان ثابت وحجم ثابت ممّا ييسّر لها العمل بشكل متكامل مع بعضها البعض.

لا شك أنّ تلك الأعضاء لا تملك شعورا ولا عقلا، ومن المستحيل أن تقوم بتلك الأعمال المشتركة بإرادتها لأنّ ما شرحناه هو عمل غاية في الدّقة والرّوعة، إضافة إلى أن كلّ عضو خلق لغاية ووظيفة محدّدة ودقيقة.

إن صانع ذلك الإبداع وذلك النظام المتكامل هو الله تعالى الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا



الطعام، وانظر إلى الشفتين والأسنان واللسان والحنكين والبصاق وملايين الخلايا، كلّها تعمل في آن واحد في انسجام صارم دون أي تقصير من أيّ عضو. فالأسنان تقطع الطعام قطعا صغيرة واللسان يضع تلك القطع مرّات ومرّات تحت الأسنان ليمضغها، والحنك ذو العضلات الصّلبة يساعدها أيضا على مضغ الطعام بتنسيق مع اللّسان، أمّا الشفتان فهي السدّ المنيع ضدّ إفلاة الطعام من الفم، علاوة على أنّ كلّ عضو من تلك الأعضاء له مكوّناته الخاصّة التي تعمل بدون انقطاع وبكلّ دقة. أمّا الأسنان فقد صفّفت

والحلويات كأنّها صنف واحد من الطعام، ولا تكون لها أي لذة، بل وتسبب الأمراض وتضر بالصحة.

لا شك أن نظام التذوق خلقه الله تعالى وجعله نعمة للإنسان، والتغافل عن هذه النعمة خطأ كبير. فالله خلق في الإنسان هذه الأنظمة للحفاظ على صحته وسلامته، وحتى يشعره بمتعة الأشياء، قال تعالى:

"اللهُ الّذي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ قَرارًا وَ السَّماءَ بِنَاءً وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ فَتبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ"(المؤمنون، 64).

لاشك أن التفكير في موضوع التذوق يدفع بالإنسان العاقل لكي يدرك عظمة الخالق عز وجل ويجعله يعترف بنعمه وجميل فضله عليه فيشكره عليها. فعلى المؤمن أن يفكر عند جلوسه على مائدة الطعام أن جميع الخيرات من مأكل ومشرب من عند الله تعالى، يقول الله سبحانه وتعالى:

"وَآيَةٌ لَهُمْ الأَرْضُ المَيْتةُ أَحْيَيْناهَا وَأَخْرَجْنا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنّاتٍ مِنْ نَخيلٍ وَأَعْنَابٍ



ولم يكن له شريك في الملك:

" وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا"

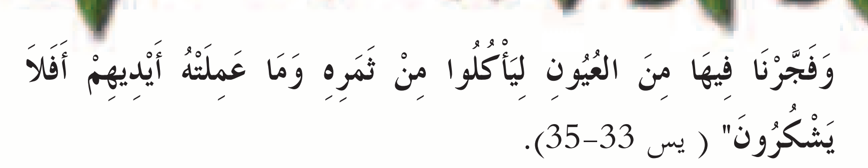
(الفرقان، 2).

لقد خلق الله كل ذلك من أجل الإنسان، ومن أجل أن يتمتع الإنسان بطيبات الحياة الدنيا. وقد يتبادر إلى ذهن المؤمن التفكير في رائحة وطعم مختلف الأطعمة، إذ يمكنه التمييز بينها بكلّ سهولة وذلك بفضل نظام متكامل خارق.

إنّ حاسّة الشمّ والتذوّق تصاحبان الإنسان طوال العمر دون توقف أو تقصير في الأداء أو انتظار لمكافأة، وهذه الملكات اكتسبها الإنسان بالغريزة ولم يقم بأي جهد للحصول عليها. (لمزيد من التفصيل انظر: هارون يحيى، معجزة التذوّق والشمّ). وتخيّل غياب نظام التذوّق عند الإنسان، فما الذي سيحصل يا ترى؟ لا شكّ أنّه لن يبقى أي معنى لأنواع الأطعمة والأشربة، وتصبح الحلوّيات واللّحوم والأسماك والخضروات والكعك والفطائر والغلال والمشروبات والمربّيات و ا لمثلّجا ت



نتوقف هنا عند نقطة مهمة وهي أن المؤمن مكلّف بأمانة الحفاظ على نعمة هذا البدن وعليه مسؤولية العناية به بما رزقه الله من نعم فيحافظ عليه من الأمراض ويغذّيه تغذية سليمة، لأنّ القيام بالأعمال الصالحة يتطلب جسما سليما، لذلك يجب على المؤمن اتّباع نظام تغذية متكامل. فالجسم المتكون من 100 تريليون خليّة يحتاج إلى تغذية سليمة حتّى يقوم بدوره على أحسن وجه. لذلك، على الإنسان أن يحافظ على كلّ أشكال النظافة و يأكل الأطعمة النظيفة والطبيعيّة سواء عند فطور الصباح أو أثناء اليوم، كما يجب عليه أن يتجنّب المأكولات المضرّة



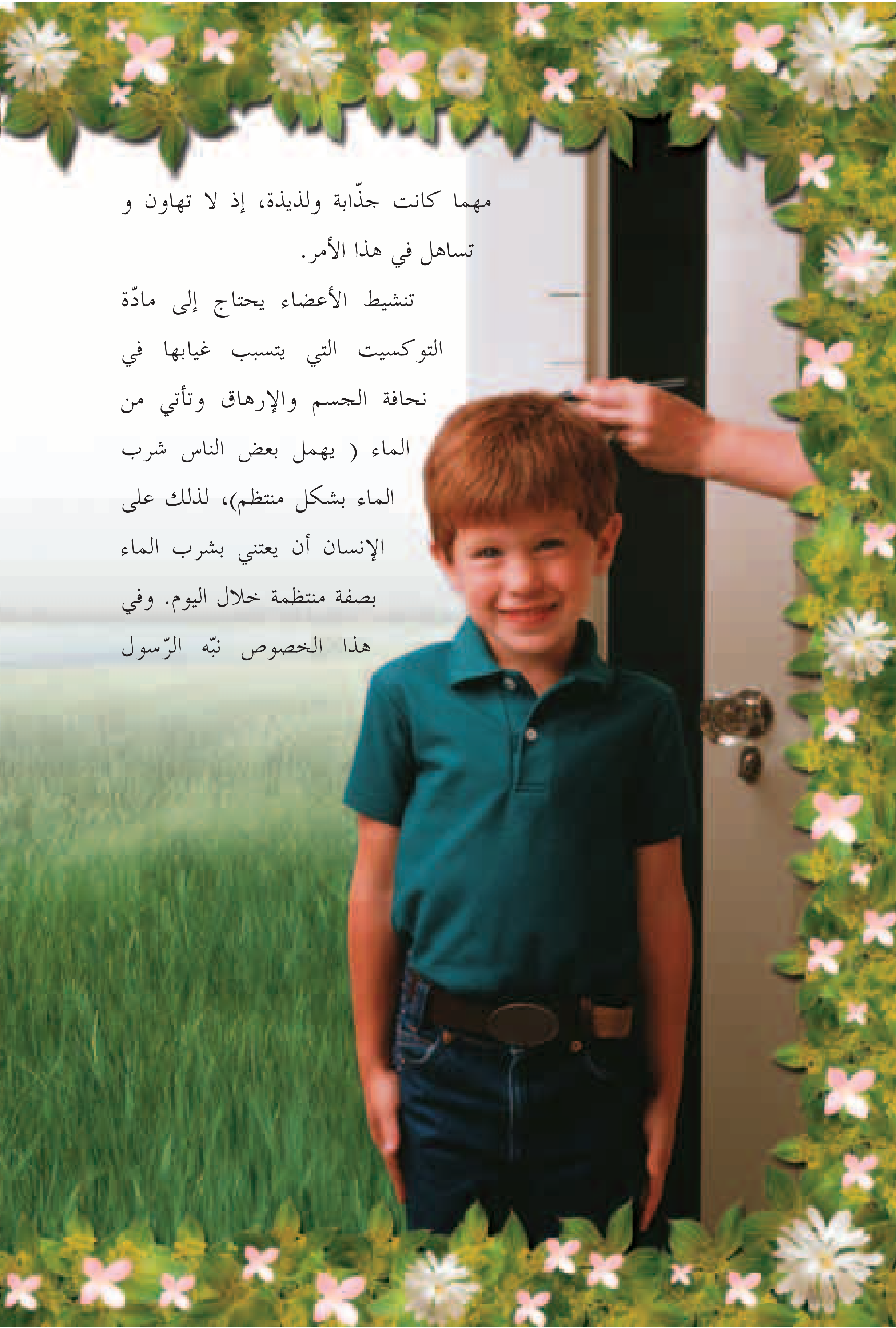
وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ العُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِه وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ" (يس 33-35).

يعيش بعض الناس طوال حياتهم في الرّفاهيّة فيشبعون جميع رغباتهم، ورغم أنّهم يأكلون ما لذّ وطاب من المأكولات فإنّهم يغفلون عن التفكير في أشياء مهمّة، منها بالخصوص أنّ الله خلق تلك النّعم من أجل سعادة الإنسان، فلا ينتبهون إلى ضرورة شكر الله على تلك النعم وهذا خطأ كبير لأنّ الإنسان سوف يحاسب في الآخرة و سوف يسأل عمّا إذا كان من الشاّكرين أو من النّاكرين لنعم الله في الدنيا.



صلّى الله عليه و سلّم في كثير من الأحاديث إلى أهمّية الماء نورد منها ما يلي:

خلال إحدى غزواته توقف النبي صلى الله عليه وسلم وطلب من أصحابه ماء، وبعد أن غسل يديه وشرب نصيبا من الماء التفت إلى أصحابه وطلب منهم أن يغسلوا وجوههم وأن يصبّوا على أنفسهم شيئا منه. وبعد أن شرب النبي صلى الله عليه وسلم دعا بما معناه: الحمد لله الذي جعل هذا الماء عذبا زلالا ولم يجعله مالحا أجاجًا.



مهما كانت جذّابة ولذيذة، إذ لا تهاون و تساهل في هذا الأمر.

تنشيط الأعضاء يحتاج إلى مادّة التوكسيت التي يتسبب غيابها في نحافة الجسم والإرهاق وتأتي من الماء (يهمل بعض الناس شرب الماء بشكل منتظم)، لذلك على الإنسان أن يعتني بشرب الماء بصفة منتظمة خلال اليوم. وفي هذا الخصوص نبّه الرّسول



لسان سليمان: **"وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ التِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ"** (النمل، 19).

وعندما يخرج كل فرد من بيته يواجه الكثير من الأحداث التي تحتاج إلى النظر والتأمل. وعلى المؤمن أن يعلم أن ثمة حكما وراء كل حركة في هذا الكون، وكل شيء هو بتقدير من الله تعالى. هذه الحقيقة ينبغي ان تكون راسخة في ذهن كل مؤمن. والمؤمن يرفع رأسه إلى السماء فيرى عظمة الخلق الإلهي، فيتذكر قوله تعالى: **"وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا"** (الأنبياء، 32).



في الطريق

بعد تناول فطور الصباح يتوجه الناس إلى أعمالهم ومدارسهم ومختلف المشاغل الأخرى في حياتهم، يقول تعالى: **"إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً"** (المزمّل، 7). ويقول أيضا" **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا"** (الفرقان، 47). وكل يوم جديد هو فرصة للمؤمن حتى يجدد إيمانه ويقوم بخير الأعمال في سبيل نيل مرضاة الله والفوز بجنته. ولا يغفل المؤمن ولو للحظة للتقرب إلى الله عز وجل، ونبي الله هو مثال العبد الصالح الذي كان يدعو الله أن يسدد أعماله. يقول تعالى على



تعالى:

"أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ". (ق ، 6-8).

يقابل المؤمن أدلّة أخرى إذا ما نقل النظر من السماء إلى الأرض التي يمشي عليها، يجد نفسه يمشي على طبقة من البراكين رغم أنّ الطبقة الأرضية ليّنة جدّا كقشرة التفاحة، بمعنى أنّ الطبقة الناريّة قريبة جدّا

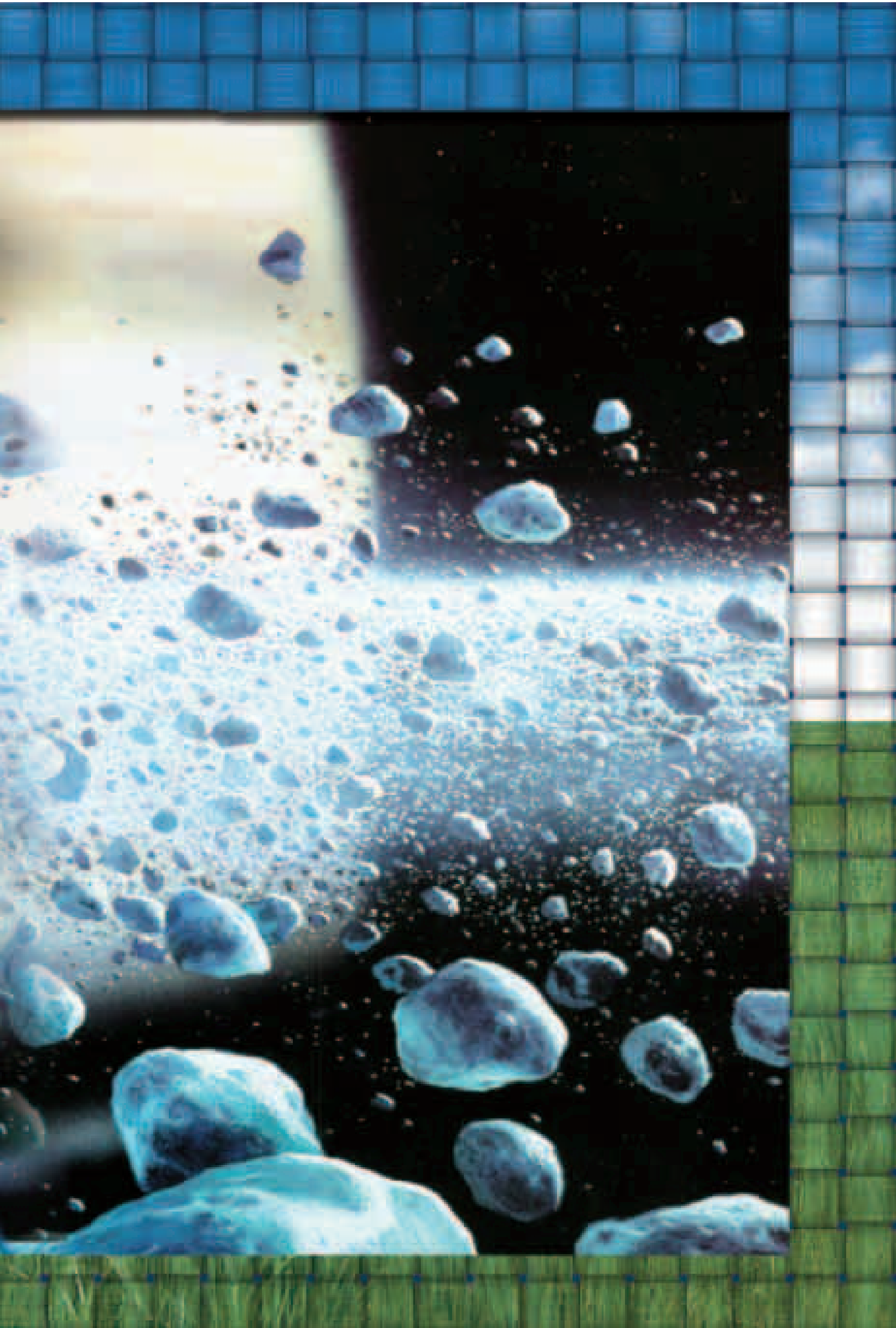


الفضاء هو سقف السّماء يحمي كوكبنا من الأخطار الخارجيّة ويضمن استمرار الحياة عليها، فهو يصفّي الأشعّة الضارّة القادمة من السماء ويذيب الأحجار والنيازك المتّجهة إلى الأرض، وبذلك يكون حاجزا حاميا للأرض والحياة الإنسانية، كما يحمي الفضاء الأرض من التّجمد الّذي يمكن أن تصل درجة البرودة فيها إن لم يوجد الفضاء إلى 270 درجة تحت الصفر. والإنسان لا يستطيع ان يدرك هذه القدرة العظيمة، لكن الله تعالى خلق الكون بالقسط والميزان حتى يهيء للإنسان أسبابا العيش في في أمن بعيدا عن الاخطار الخارجية، يقول تعالى:

"الّذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوات طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُت فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُتُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَ هُوَ حَسِيرٌ" (الملك، 3-4).

تخبرنا الآيات القرآنية ان المؤمن يستطيع ان يكتشف الأدلة الدامغة على أن الله خالق كل شيء إذا ما نظر إلى الأشياء بإيمان عميق، وذلك تأييدا لقوله


"وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا"
(الأنبياء، 32)





تعالى واكتشف منها من المعاني التي لا يمكن للإنسان العاديّ اكتشافها.

إن المؤمن الحكيم يكتشف أثناء السير في طريقه أدلة لا تحصى عند النظر إلى الأشياء والتأمل فيها، والمؤمن لا يمشي بافتخار وخيلاء لأن الله علمه أن يكون متواضعا، يقول تعالى:

"وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ"

(لقمان،19).

هكذا امر الله لقمان بالتواضع في مشيته والوسطية في تصرفاته وان يتمسك دائما بالطريق القويم وأن يضع نصب عينيه مرضاة الله تعالى. لكن الذين ينحرفون عن الأخلاق القرآنية ولا يلتزمون بها يضعون هذه الحقيقة وراء ظهورهم وهم يتوهمون أنهم اكتسبوا تلك الميزات الإنسانية بأنفسهم ولا فضل لله عليهم.ولذلك تراهم يتكبرون ويتفاخرون. فصورهم الجميلة وأشكالهم



من سطح الأرض، و مع ذلك يعيش الإنسان باطمئنان على وجه البسيطة. هكذا يزداد المؤمن إيمانا بأنّ كلّ من على الأرض يعيش بفضل الله وقدرته بفضل التكامل والتناسق في الوجود بحيث تحافظ المخلوقات على بقائها في راحة واطمئنان. والحكيم هو من يدرك في كل شيء عظمة خلق الله وجمال مخلوقاته، فإذا شاهد العصافير المزركشة وهي تطير في السماء، وإذا نظر إلى دكّان الخضّار تزيّن حانوته مختلف الغلال بألوانها الجذّابة، وإذا اشتمّ رائحة المرطّبات تملأ فضاء دكّان الحلويّات... أدرك نعم الله



ويقول أيضا: "وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً" (الإسراء، 37).

إنّ الإنسان الذي يهتدي بالأخلاق القرآنية دائما يملأ عجزه بالدّعاء إلى الله صاحب القدرة على كل شيء وواهب الكائنات كلّ قدرة. بهذه الحقيقة يعيش المؤمن ويقيّم الأحداث حسب التعاليم القرآنية.

يعجز الإنسان على قطع المسافات الطويلة مشيا على الأقدام، وأمام ضعف الإنسان وأمام سرعة إصابة الجسم بالتعب والإرهاق جعل الله للإنسان وسائل للتنقل وهي نعمة كبيرة. ومن هذه الوسائل الحيوانات والسيارات، وهذا وجه آخر من وجوه رحمة الله بعباده وخلقه، يقول تعالى:

"وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بشقّ الأَنْفُس إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ وَالخَيْلَ وَالبغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ" (النحل 7-8).

ويقول تعالى:

"وَالّذي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلّها

المتناسقة وأموالهم ونجاحاتهم هي من عند أنفسهم بزعمهم، وهذا هو مصدر تكبرهم وسبب استعلائهم على عباد الله الآخرين.

هذه الأفكار والقناعات تعكس لنا أقوالهم وتصرفاتهم تجاه الآخرين. غير أن الإنسان يعجز أمام قدرة الله وعظمة علمه، فهو محتاج إلى الله في كل لحظة وفي كل نَفَس. ولهذا السبب بالذات نبهت الآيات القرآنية الإنسان إلى هذه الحقائق ونهت عن التكبر، قال تعالى:

"وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" (لقمان، 18)،





"لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ" (الزخرف، 13) .

لقد أصبح التنقل اليوم مقارنة بالسابق أكثر تطوّرا وراحة، وعلى المؤمن الصادّق أن يفكر في ذلك ويزداد تقرّبا إلى الله تعالى ويخلص في عبادته و شكره على نعمه.

المؤمن يستغل فرصة السّفر للتفكّر في خلق الله إذا ما نظر إلى سائق السيارة الذي بجانبه ولون السيارة ونوعها وحركة الناس والنباتات المصففة على طول الطريق، وشكل البنايات وشكل النوافذ ولوحات إشارة المرور بما تحتويه من كتابات... كلّ ذلك أشياء وجدت بقدرة الله وأمره وكلّ هذه الحقائق أخبرنا بها الله في كتابه العزيز مثل قوله تعالي **"إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ"** (القمر، 49).

إنّ المؤمن الملتزم بالأخلاق القرآنية يعي جيّدا أنّ الأشياء التي خلقها

وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الفُلْك وَالأَنْعَام مَا تَرْكَبُونَ" (الزخرف 12).

كما يقول أيضا: **"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالفُلْكَ تَجْري فِي البَحْرِ بِأَمْرِه وَيُمْسكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنه إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ"** (الحج 65).

لقد خلق الله أنواعا من المعادن كالحديد والصلب والفولاذ وغيرها، ووهب الإنسان القدرة على صنع أنواع من وسائل النقل، وبإذن الله وحده استطاع الإنسان صنع السيارة والحافلة والقطار والسفينة والطائرة وغيرها من وسائل التنقل التي خلقها الله لتسدّ عجز الإنسان وتمكّنه من السفر لمسافات بعيدة. لذلك يتذكّر المؤمن ربه ويحمده كلّما ركب وسيلة من هذه الوسائل، يقول الله تعالى:





الآخرة.

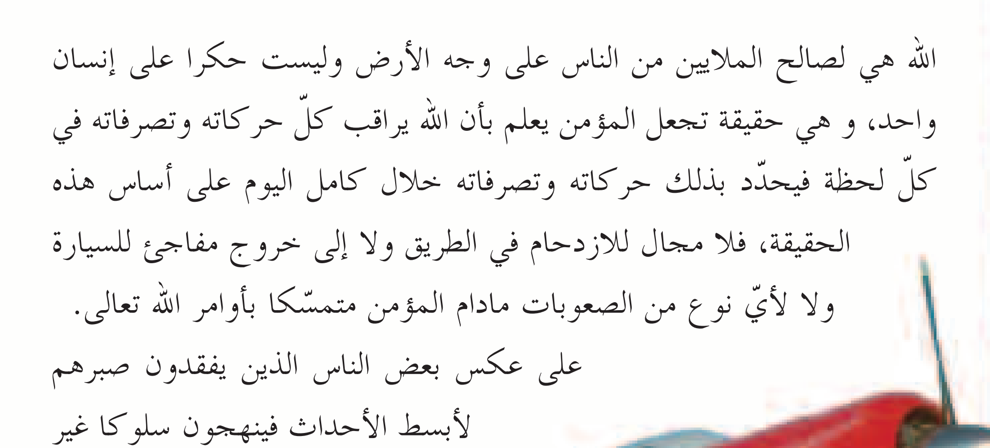
يدّعي بعض الناس أنّ الموضوع الحقيقي الّذي يجب التفكير فيه هو الصّراع مع الحياة، فيقضّون معظم الوقت في تأمين الحاجات من المأكل والمشرب والمسكن والصحّة، ولا يخصّصون زمنا للتفكير في الموجودات التي خلقها الله تعالى والتفكّر في الأدلّة الدامغة على وجود الله، فلا توجد علاقة بين الرسالة التي كلّف الله بها الإنسان والمحيط الذي يعيشون فيه. الله في عون الإنسان الذي يفكر في ملكوته ومخلوقاته وقدره والآخرة والموت والنعم التي أنعمها الله في الدنيا، و بذلك يجد المؤمن نفسه يحلّ المشاكل الحياتية بسهولة و دون أن تتطلب منه وقتا طويلا.

المؤمن لا ينسى أبدا أن المشاكل اليومية هي قدر الله الذي يمتحن به صبره ويمتحن سعيه على حلّ مشاكل ازدحام المرور إذا كانت له الإمكانيات لفعل ذلك. أمّا المشاكل التي لا يستطيع حلّها بنفسه فعليه التحلّي بالصّبر لمواجهتها ولا يتصرّف مثل بعض الناس بالعصبية والصياح والجدال الحادّ فيضرّ نفسه و يضر الآخرين أيضا لأنّه تصرّف خاطئ وغير عقلانيّ.

من الخطأ أن نظن أنّ الدّعوة إلى الصبر والتجلّد لا تكون إلاّ عند الآحزان والأحداث

الله هي لصالح الملايين من الناس على وجه الأرض وليست حكرا على إنسان واحد، و هي حقيقة تجعل المؤمن يعلم بأن الله يراقب كلّ حركاته وتصرفاته في كلّ لحظة فيحدّد بذلك حركاته وتصرفاته خلال كامل اليوم على أساس هذه الحقيقة، فلا مجال للازدحام في الطريق ولا إلى خروج مفاجئ للسيارة ولا لأيّ نوع من الصعوبات مادام المؤمن متمسّكا بأوامر الله تعالى.

على عكس بعض الناس الذين يفقدون صبرهم لأبسط الأحداث فينهجون سلوكا غير أ خلا قي



ويغضبون لازدحام حركة المرور أو لقلّة انتباه بعض السائقين فيصيحون ويصرخون لأنّهم لا يتحمّلون الانتظار ويحتجّون بالدوس على منبه السيارة باستمرار، و يقلقون راحة الآخرين و ينسون تماما أنّ كلّ شيء مقدّر من عند الله تعالى.

إنّ الّذين يديرون ظهورهم عن الأخلاق القرآنية تتحوّل وسيلة النقل عندهم من نعمة إلى نقمة، فتصبح عقولهم مشغولة فقط بحُفَر الطريق وازدحام حركة المرور والمطر الذي ينزل فجأة وغير ذلك من الأشياء التي تشغل الفكر طوال اليوم. هذا الخواء الفكري لا يجرّ لصاحبه النفع لا في الحياة الدنيا ولا في







وإيمان بأنّ ذلك الحادث هو قدر من عند الله تعالى فيتصرف بكلّ عقلانيّة و يسعى إلى إنقاذ الجرحى ويطلب النجدة ويحاول إصلاح الأضرار الناجمة عن الحادث بما أوتي من قوّة وإمكانيات. فالمؤمن يسعى دائما إلى مرضاة الله تعالى ويختار تصرّفاته على أساس هذا المبدإ. هكذا عبّرت سورة الملك عن الهدف من خلق الله للإنسان و تكليفه بالرسالة الإلهية فقد قال تعالى:

"الَّذي خَلَقَ المَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُم أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ"

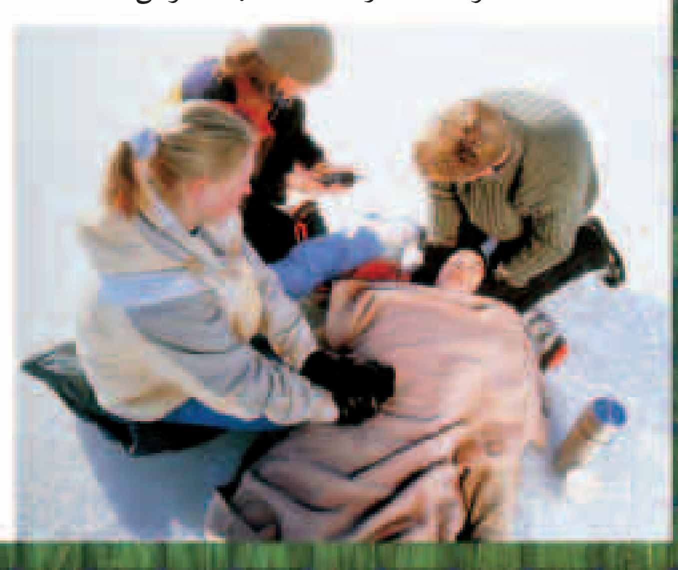


التراجيدية لأنّ الله يمتحن الإنسان خلال اليوم بأحداث صغيرة كالتّأخر عن العمل نتيجة ازحام حركة المرور أو ما شابه ذلك من الأحداث اليومية المزعجة للإنسان، لذلك نرى المؤمن الملتزم بالأخلاق القرآنية ينأى بنفسه عن المشاكل ويتجنب الشكوى ويلتزم الصبر، وهذه صفة المؤمن الملتزم بالأخلاق القرآنية التي عبّر عنها الله في كتابه بقوله تعالى:

"الَّذين إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالمُقِيمِي الصَّلاَة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ"

(الحج، 35).

أمّا حوادث الطرقات فيقابلها المؤمن الصّادق بكلّ اعتدال وتوكّل وتجلّد





الأنظمة وتركيبة ريشها المعقدة وطريقة بناء أعشاشها وأعضائها السمعية وطرق صيد فريستها وأكلها وتحرّكاتها وتناسلها ومختلف الأصوات التي تصدرها عند كلّ عمل تقوم به، هذا النّظام العجيب في خلق العصافير دليل على علم الله الواسع وقدرته اللاّمحدودة مصداقا لقوله تعالى: "**أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَن...**" (الملك 19،). المؤمن وهو في طريق رحلته يلاحظ مثل هذه الحقائق ويشهد في كلّ لحظة على قدرة الله اللاّمتناهية.



(الملك، 2).

إنّ المؤمن المتشبث بالأخلاق القرآنية يتجنّب طوال رحلته إشغال ذهنه بالمواضيع التافهة ويحرص دائما على التفكير في المواضيع المهمة النافعة. إنّ الطّير الذي يحلّق في السّماء هو حدث عابر بالنسبة للإنسان العادي،أما بالنسبة إلى المؤمن المخلص فهو يستحقّ التفكير فيه بعمق، فالعصافير المعلّقة في الهواء لا يشدّها سوى أجنحة حسّاسة مصمّمة بكلّ دقّة وجمال، وهي تقوم بحركات مختلفة في الهواء. كذلك طيران العصافير وطريقة غذائها وشكل مناقيرها وهيكلها العظمي الخاص ونظام تنفسها ونظام الهضم لديها وغيرها من



دنيوية منها تحقيق حياة مرفّهة، بأن يكون غنيا وصاحب سلطة وجاه وموقع اجتماعي مرموق، أو يكون هدفه من الزواج إنجاب الأولاد للإفتخار بهم... لا شك أن كل هذه الأشياء تحقق رضا الله وهي نعم مشروعة من حقّ كلّ إنسان السعي إلى اكتسابها، لكن ما يفصل المؤمن عن إنسان الجاهلية خصوصيّة هامّة وهي أنّ تحقيق كلّ هذه الأشياء ليس لأغراض دنيوية بل سعيا لمرضاة الله، فالمؤمن ينفق أمواله وفقا لأوامر الله ويحرص حرصا كبيرا على القيام بأعماله ملتزما بتعاليم دينه وقيمه. إنّ القوم الفاسقين هدفهم الربح الدنيوي لا غير، ولا يفكرون في ثواب أو عقاب وهم الذين عنتهم الآية الكريمة:

"قُلْ إِنْ كَانَ آبَاءُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الفَاسِقِينَ "

(التوبة، 24).

إنّ المؤمن الصادق يتحاشي السّقوط في مثل هذه الصفات ويسعى إلى التحلّي



الحياة العمليّة

يقضي الإنسان الراشد معظم وقته في العمل، لكن الإنسان الذي يتبع الأخلاق القرآنية يختلف عن الإنسان الغارق في الأخلاق الجاهلية في نقطة معيّنة وهي أن المؤمن مهما تكن كثافة أشغاله خلال اليوم فهو لا يهمل لأيّ سبب من الأسباب القيام بواجباته الدينية تطبيقا لقوله تعالى:

"...مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَ مِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرّازِقِينَ"

(الجمعة، 11) .

والمؤمن يعي جيّدا ذلك المعنى ولا يلهيه أيّ شيء عن عبادة الله أو تأخير الصلاة عن وقتها مهما كانت الأرباح المادّية. هذه الصفات التي يتحلّى بها المؤمن الملتزم بالأخلاق القرآنية وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى:

"رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ" (النور، 37).

تؤكّد هذه الآية أن المنافع المادية كالتجارة هي الأشياء الكبيرة التي تلهي المؤمن عن الالتزام بأوامر الله تعالى، إذ يسعى الإنسان لكسب المال وجمع الثروة وحشد القوة فيغفل عن الصلاة أو تطبيق تعاليم القرآن.

إنّ إنسان الجاهلية مولع بالعمل لتحقيق أغراض



الحقوق وتحصل خلافات وخصومات، إضافة إلى الاستعانة بشاهدين عند عقد الصفقات التجارية (البقرة، 282).

هناك شيء مهم على المؤمن أن يلتزم به في حياته العملية، فإذا أراد أن يتخذ قرارا أو يقوم بعمل جديد فعليه بالاستشارة أي الاستفادة من خبرات وأفكار الآخرين، وهذه صفات خاصة بالمؤمنين الذين يطبقون التعاليم القرآنية.

خلاصة القول أنّ القرآن اهتم بالميدان التجاري مثلما اهتم بميادين الحياة الأخرى فقدّم نموذجا جميلا، سهلا و حقيقيا لطريقة التعاملات و البيع و الشراء، وبذلك فقط يبتعد الإنسان عن الضغوطات النفسية والعصبية ويحقق الراحة والطمأنينة ويستطيع اتخاذ القرارات الصائبة ويهيّأ ظروف عمل تساعد على النجاح. كل ذلك



بالأخلاق الربانية التي ارتآها الله للمؤمنين ولا يحيد عنها مهما كانت مشاغله، فهو يعتمد الصدق في التجارة ويجتهد في أعماله ويوفي الميزان، وهو متواضع مع الناس، هدفه الأسمى كسب مرضاة الله تعالى والكسب الحلال. لقد أمر الله المؤمنين بأن لا يتعدّوا على حقوق الآخرين ولا ينقصوا في الكيل والميزان وأن يعطوا كلّ صاحب بضاعة حقّه (سورة هود 85) كما وردت في بعض الآيات توصيات تأمر بأن يكون التاجر أمينا، صدوقا، لا يأكل حقوق النّاس بالباطل ويتحلّى بالأخلاق السامية. يقول تعالى:

"وَأَوْفُوا الكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً" (الإسراء، 35). وقول تعالى: **"وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا المِيزَانَ "** (الرحمن، 9) .

بين القرآن أخلاق التجارة وتعاملات البيع والشراء، وأوّل ما يلفت الانتباه أمر الله بالكسب الحلال وتجنب الربا مثل قوله تعالى: "...**وَ أَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** ..." (**البقرة، 275**). وقد أمر الله المؤمنين بكتابة الديون المتداولة ومقادير البيع والشراء حتّى لا ينسى الإنسان ما له وما عليه فتضيع



مثل ظهور الحاسوب والإنترنيت وهو ما مكن الأفراد القاطنين في بقاع مختلفة من الأرض من التحدث والتواصل وتبادل المعلومات والآراء وتكوين علاقات فيما بينهم. إنه لابد علينا التفكير في هذه النعم بعمق كبير لأنّ الله بعث لنا الأنبياء ليكونوا قدوة لنا، فقد كانوا يذكرون الله في السر والعلانية و يذكرون الله كثيرا كلّما قاموا بعمل فلا يعبدون و لايحمدون أحدا سواه مصداقا لقوله تعالى:

"يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَ تَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورُ"

(سبأ، 13) .



يتحقق باتباع طريق الحق والايمان والاستعانة بالمشورة والاستفادة من خبرات الآخرين.

إنّ المؤمن العاقل يخطط حياته العملية بفكر واسع فيضع خططا على المدى البعيد والقريب، ويتجاوز النتائج بوضع الحسابات الدقيقة والمربحة، كما يأخذ التدابير اللازمة لمنع حصول الضرر ويختار الحلول التي ارتآها الله لعباده في القرآن الكريم. والمؤمن يستعين بالله عند كلّ عمل يقوم به.

إننا نعيش حياة متطورة لم تكن موجودة حتى في خيال الإنسان القديم، حياة فيها إمكانيات كبيرة نحمد الله الذي سخّرها لنا وعلينا أن نستعملها وفقا للأخلاق القرآنية. مثلا، ما نعيشه اليوم من تطور تكنولوجي و ما نراه من تقدم في وسائل الاتصالات والمواصلات وما تشهده الحياة العملية من تقدم كبير



العبر والحكم من كلّ الأحداث.

لذلك فالتسوق -بالنسبة للمؤمن-

ليس سوى وسيلة لتلبية حاجياته والتقرب من الله تعالى تطبيقا لأمر الله تعالى في القرآن الكريم:

"وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا" (الكهف، 28).

كلّما خرج المؤمن إلى السوق لشراء بعض الحاجات تتبادر إلى ذهنه حقائق لا ينساها وهي أن الله خلق لعباده أنواعا كثيرة من المأكولات والمشروبات ونعما لا حصر لها، لكن بعض الدول تعيش حالة من الجوع والفقر والبطالة وتتخبط في مشاكل الحروب فلا يجد الإنسان ما يأكله، و في بعض الدول تجد الكثير من الخيرات ولا يستطيع الناس شراءها نظرا للفقر المنتشر في تلك الأصقاع. إن الله يرزق من يشاء بغير حساب وله حكم في ذلك



عند البيع والشراء

يهتمّ بعض الناس في هذه الأيام بالتسوق كثيرا، فيقضون الساعات بل الأيام في التجول بين المغازات لاختيار ملابس يتفاخرون بها بين أقرانهم، فيصرفون المال الكثير من أجل ملابس قد يلبسونها بضعة مرات رغم أن خزائنهم مليئة بالملابس، فهم مولعون بشراء الملابس الجديدة. التسوق عند هؤلاء تجاوز كونه وسيلة لتلبية الحاجة ليصبح غاية في حياتهم يتمسكون بها، فيفقدون التحكم في أنفسهم كلّما خرجوا للتسوق ثم يندمون على اختيارهم بعد مدة قصيرة من الزمن، و هذه صفة من صفات المجتمع الجاهلي.

لا شك أن التسوق هو حاجة ضرورية لكلّ إنسان وهو عمل فيه متعة وذوق، لكن الخطأ يكمن في نسيان الإنسان آخرته و يقضي حياته في البيع و الشراء و يركز تفكيره و خطط حياته على هذا الأساس فيغفل عن مرضاة الله الذي خلقه ويشغل نفسه بأشياء تافهة لا قيمة لها.

أما المؤمن الذي يعيش في ضوء الأخلاق القرآنية فهو يحرص في كلّ المناسبات، ومنها مناسبة التسوق على اكتشاف الجمال الإلهي في خلقه ويسعى إلى ا ستخلا ص

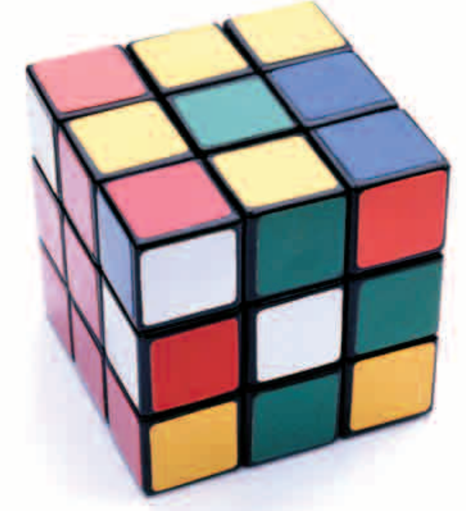


شراء الملابس إلا في اختيار الملابس التي يتفاخر بها أمام أصدقائه. مثل هؤلاء لا يشغلون فكرهم إلاّ بالموضات الجديدة والبحث عن أماكن بيع الملابس الجميلة الفاخرة ذات الجودة الرفيعة، ولا تكون محاور حديثهم إلا في ما اشتراه الآخرون فيغبطونهم. هؤلاء الناس لا يتحملون الفقر ويحرصون بشدة على أن يكونوا من أصحاب الأموال والأملاك فيقيسون ما وهبهم الله من رزق على ما يكسبه الآخرون من نعم فيشعرون بالظلم ولا يصبرون ولا يشكرون. إنهم لا يشبعون أبدا ويرغبون دائما في المزيد فينكرون نعم الله عليهم كما قال تعالى:

"وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ"

(النمل، 73) .

يحرص المؤمن الصادق المتيقن بأن كلّ النعم هي هبة من الله على أن ينفق أمواله ووقته فيما هو نافع، فلا يسرف عند التسوق لأنه يلتزم



كما جاء في قوله تعالى:

" أَوَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (الزمر، 52) .

يمتحن الله تعالى الإنسان في مواضع مختلفة وظروف مختلفة، و المؤمن الحق هو الذي يحمد الله مهما كانت الظروف التي يمر بها لأنه يعرف أن الله يمتحنه و أن الظروف التي يمرّ بها زائلة لا محالة، لذلك فهو يسعى إلى فعل ما يرضي الله فيحمده من صميم قلبه. وكلّما عاش المؤمن ضائقة يواجهها بالصبر والدعاء فيعلم أن الله يمتحنه بالفقر فيتسلح بالدعاء لله بأن يمده بالصبر والقوة. غاية المؤمن في كل الأحوال والظروف كسب مرضاة الله تعالى، على عكس المنكرين الجاحدين فهم يعصون الله ويظهرون التمرد والكفر بنعم الله لأقل امتحان يمرون به في الحياة، هؤلاء ذكرهم الله في كتابه العزيز بقوله تعالى:

"فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبّي أَهَانَنِ" (الفجر 15-16) .

إنّ الله خالق كل النعم التي نَنْعم بها في الدنيا، لكن من الناس من يتناسي أن الخيرات التي اشتراها وصلت إليه بإذنه تعالى فلا يحمده، ويتصرف دائما بأنانية وحبّ المزيد لنفسه فقط، ولا يفكر عند



بقوله تعالي: "

...كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ"

(**الأعراف، 31**) .

والمؤمن لاينسى أبدا أن المسرفين "**إِخْوَان الشَّيَاطِينِ**" مثلما وصفهم الله تعالى في سورة الإسراء .

خلاصة القول إنّ الابتعاد عن البخل مثل الابتعاد عن الإسراف عند التسوق هو حقيقة من حقائق الأخلاق القرآنية، والمؤمن مطالب باتباع التعقل والحكمة في البيع والشراء وهي حقيقة تلخّصها الآية 67 من سورة الفرقان في قوله تعالى:





ممارسة الرياضة قوة للجسم لمجابهة الميكروبات، وتؤمّن العمل المنتظم للهرمونات والقلب والشرايين وتمنح العظام والمفاصل نشاطا وقوّة وتنظم مقدار السكر في الدم، وتساهم في انخفاض "الكولوستيرول"، إلى غير ذلك من الفوائد الجمّة.

والمؤمنون يتفانون في هذا الخصوص لأن الله نبه بأنّ قوة الجسم خاصية هامة من خصائص المؤمن وقد أورد القرآن الكريم في سورة الأعراف الآية 144 قصة سيدنا موسى صاحب الجسم القوي، و تخبرنا بعض الآيات عن قوة جسم النبي طالوت الذي أرسله الله ليحكم قومه، وقال تعالى في هذا الخصوص:

"وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَّ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَّ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُّ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللهُّ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" (البقرة 247) .

مع كل هذه الأسباب التي تحفّز المؤمن على ممارسة الرياضة يوجد



"وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يُقْتِرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قِوَامًا"

(الفرقان، 67) .

عند ممارسة الرياضة

الجسم أمانة وهبها الله للإنسان للاستفادة منها في الحياة الدنيا، وهو مسؤول أمام الله للعناية به على أحسن وجه، فيحافظ عليه من الأمراض. لذلك على المؤمن تخصيص زمن معيّن كلّ يوم لممارسة التمارين الرياضية وعليه أن يحرص على ذلك. فالرياضة تعطى القوة للجسم، كما تمنحه شحنة لمقاومة الأمراض وتساعده على العمل بشكل منتظم وصحّي فيكون جاهزا للقيام بأعمال يكسب بها مرضاة الله .

إن الخلايا الحيوية عند الإنسان ليست جامدة بل هي متحركة، والرياضة تنشط الخلايا الدفاعية والجهاز الدوري والجهاز العصبي والجهاز التنفسي، كما تعطي



سبب آخر مهمّ جدًا وهو أن المؤمن الحامل لرسالة التبليغ أي المكلف بمهّة نشر الإسلام في العالم عليه أن يكون صاحب جسم قوي وسليم حتى يستطيع الاضطلاع بمهمته وجلب احترام الآخرين، وهذا يساعده على الحوار والإقناع

.

إذن المنظر الخارجي المتميز بالهيبة والوقار يعطي انطباعا إيجابيا على الإسلام والمسلمين، لذلك يسعى المؤمن دائما إلى





آخر مفيد كلما انتهى من عمل التزاما بقوله تعالى:" **قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**" (الأنعام، 162) .

المؤمن إذن دائما وراء خير الأعمال وأحسنها دون انقطاع ولا توقف، و المؤمن الحق هو من إذا أنهى عملا بدأ في غيره لأن كل لحظة من حياته ينبغي أن تكون في عبادة الله وكسب مرضاته لأنه يعلم أنه سيقدم على حساب عسير في الآخرة، لذلك تراه يحرص على قضاء كل لحظة من لحظات حياته في الأعمال الصالحة طمعا في كسب مرضاة الله وتطبيق أوامره كما جاء في قوله تعالى:

"**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ** "

(الإنشراح، 7)

كما يقول تعالى: "...**وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا**" (مريم، 76). وفي بعض الآيات الأخرى يدعو الله المؤمنين إلى الاستقرار والثبات على العبادات والأخلاق التي يحبها فيقول:



اكتساب أسباب القوة والصحة الجسمية ويحرص على مظهره الخارجي وهيئته، ولا مجال للكسل والتهاون أو اللامبالاة في هذا الخصوص إطلاقا.

عند القيام بالواجبات الدينية

يقول الله تعالى: "**وَمَا خَلَقْتُ الإِنْسَ وَالْجِنَّ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**" (الذاريات، 56) . يعلمنا الله في هذه الآية أنّه خلق الإنسان ليعبده في الأرض، وليس الإنسان فقط بل كلّ شيء خلقه الله الهدف منه عبادته و تسبيحه، لذلك فإن عبادة الله هي بالنسبة لمن يتخذ القرآن دليلا في حياته هي فوق كل شيء، لذلك يكون خلال العمر القصير مستعدا للآخرة فيسعى إلى كسب مرضاة الله في كل لحظة من لحظات يومه.

المؤمن يعي جيدا أن العيش وفق الأخلاق القرآنية ليس في جانب من الحياة الدنيا ولا مرحلة معينة من مراحل الحياة بل تشمل الحياة كلها، فيحرص دائما على تطبيق أوامر الله تعالى ويسعى إلى فعل الخير والعمل الصالح أكثر فأكثر، كما يقوم بواجباته الدينية في أوقاتها المحددة ويعمل على القيام بعمل



" **وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا**" (الإسراء، 19) .

المؤمن الحق هو من يقضي يومه جاهدا لكسب مرضاة الله ويقوم بواجباته الدينية على الوجه الأكمل، و كلّ أفكاره وتصرّفاته هي في سبيل الله تعالى، فهو يفكّر في قدرة الله اللاّمحدودة وعلمه الواسع وجمال خلقه وغيرها من صفات الله تعالى، قال الله تعالى: "..**وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّح بِالعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ**" (آل عمران، 41). كما يقول تعالى: "**الّذينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ** " (الرّعد، 28).

إنّ المؤمن الذي يتخذ من الأخلاق القرآنية طريقا يكون حريصا جدّا على أداء الصلاة في أوقاتها ولا يسمح لمشاغل الدنيا أن تلهيه عن أداء عباداته في أوقاتها، وهو يؤدّيها بكلّ فرح وخشوع لأنّها وسيلة تقرّبه من الله . أمّا الّذين يؤدّون الصلاة رياء أو خشية من النّاس فلا يعيشون



"رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا" (مريم، 65).

الإنسان الجاهلي يتعامل مع هذا الموضوع بمنطق ظالّ مثل الشك في اليوم الآخر وغير ذلك من الأفكار المنحرفة، لكنّه يقوم في بعض الأحيان بالعبادات بشكل عرضيّ.

بعض الناس هدفهم الوحيد إصابة ما لذّ و طاب من الدنيا، لذلك يظهرون حرصا شديدا فيسعى جاهدا إلى أن يكون غنيا أو صاحب منصب أو تحقيق منافع من الآخرين. كلّ ذلك سيذهب هباءً بعد مدّة قصيرة **"ثَمَنًا قَلِيلاً"** (**التوبة، 9**)، وهؤلاء الناس يدخلون في سباق كبير من أجل ذلك المتاع القليل. أمّا المؤمنون الراغبون في الجنة الساعون فقط لكسب مرضاة الله فقد عرّف القرآن الكريم خصائصهم في قوله تعالى:



وهي أن بعض الناس يحصرون العبادات في أشياء محدودة فيظنون أن العبادات هي مجرد تطبيق بعض أوامر الله فقط، غير أنّ العبادات لا تقف عند أداء الصلاة والصيام والحجّ والزّكاة وجملة الفرائض فقط، العبادة بمعنى التعبد أي أن يكون الإنسان عبدا لله في كلّ حركاته وسكناته وتصرّفاته، و بقدر ما تكون الصلاة فرضا واجبا على الإنسان كذلك الابتعاد عن الغضب والالتزام بالقول الحسن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتجنب الظنّ والابتعاد عن الجدال، كلّ هذا من صميم العبادة. (لمزيد من التفاصيل أنظر كتاب هارون يحيى "أسرار الأحكام القرآنية")، لذلك يجب الالتزام بكلّ حر ص

وثبات بالعبادات الفعلية والعبادات الأخلاقية معا. وباختصار على المؤمنين تطبيق كلّ الأحكام القرآنية في كلّ ميادين



لذّة العبادة، أو يصرفون أذهانهم إلى أشياء أخرى عوض أداء الصلاة ولا يفكّرون في الأعمال التي تقرّبهم من الله تعالى فتتشتت أفكارهم في المشاكل اليومية, لذلك نبه الله تعالى هؤلاء في قوله تعالى:

"الَذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ"

(الماعون، 4-6).

إن مثل هؤلاء يظنون أنّهم يتعبّدون من أجل مرضاة الله دون الخوف من الله ولا التفكير فيه ودون الإحساس بوجوده والتقرّب إليه، فهم في غفلة من أنفسهم. فالتقوى هي الطريق الوحيد للتقرب إلى الله تعالى.

سوف لن نتناول في هذا الكتاب منطق العبادات في الجاهلية، ولمن أراد المزيد من المعلومات في هذا الخصوص يمكنه الرجوع إلى كتابنا "تأليه الدنيا" .

نودّ التوقف عند نقطة مهمة في موضوعنا



الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (التوبة، 71).

على المؤمنين اتباع كلّ الوسائل لدعوة الناس إلى الأخلاق القرآنية فيقنعهم بأن الله واحد أحد له الصفات الحسنى خلق الإنسان ليعبده في الأرض، و يعلّم الناس السلوك الذي يحبه الله والعيش ضمن الأخلاق القرآنية وينير لهم طريق الحق ويتبادل معهم الحديث عن الجنة والنار ويوم القيامة.

إن حديث المؤمنين فيما بينهم ينبغي أن يتركز على التواصي بتطبيق الأحكام الشرعية ودعوة بعضهم البعض إلى التخلق بأخلاق القرآن بكل إخلاص. وباختصار التبليغ هو هداية الناس إلى السلوك الأخلاقي المقبول عند الله. والمؤمن يعتمد الحوار والعلم وسائل للتبليغ، ويمكننا اليوم الاستفادة من التطورات العلمية في هذا الخصوص، فيمكن استعمال الراديو والتلفزيون والكتب والمجلات والجرائد والرسائل وغيرها وسائل لتبليغ الدعوة.

إنّ المؤمن الملتزم بالأخلاق القرآنية يجب عليه أن يتهيّأ للاضطلاع بمهمّة الدعوة وذلك من خلال كسب المعرفة والإلمام بكلّ الميادين والتسلح بالعلم حتى يشرح للآخرين الدين على الوجه الصحيح، بمعنى على المؤمن أن يستعدّ معنويّا وعلميا فيكون قادرا على الإقناع ومُشبعا لحاجة المتلقّي للمعرفة ومؤثرا في السامع... و الأساس في كلّ ذلك أن يكون حافظا للقرآن عارفا بالأحاديث النبوية.

هكذا تشغل كلّ هذه الاستعدادات والأعمال حيّزا هامّا في الحياة اليومية للمسلم.



الحياة بكلّ دقّة وعناية.

يعتبر التبليغ أي دعوة الناس إلى الطريق الحقّ وفعل الخير وتجنب الشكّ من أهمّ العبادات التي كلّف به المؤمنون، وهي جزء من حياتهم اليومية. فالمؤمن بحديثه وتصرّفاته ونشاطه في كلّ الميادين الحياتية مطالبٌ بالحديث عن الدين ومطالبٌ بأن يكون نموذجا يحتذى به، وهذا التكليف ليس أمام الذين لا يعرفون الدّين فقط بل هو مطالب بنفس الخُلق في محيطه ومع إخوانه المؤمنين، فيكون مثالا للأخلاق العالية عملا بقوله تعالى:

"وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ



لا ريب أن الله تعالى خلق الليل والنهار بشكل يساعد على الحياة فوق الأرض رحمة وشفقة بعباده فيقول تعالى:

"وَمِنْ رَحْمَته جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (القصص، 73).

إنّ الإنسان العاقل وحده يستطيع اكتشاف الحكمة من خلق الليل والنهار وتعاقبهما بنظام ودقّة، والإنسان الذي يخاف الله ويعيش وفق الأخلاق القرآنية هو الذي يفكّر في الحكمة من ذلك، وقد وردت آيات عديدة في هذا الخصوص نورد البعض منها:

قال تعالى:

"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِـي الأَلْبَـابِ"

(آل عمران 190).

وقد ورد في سورة البقرة

قوله تعالى:

عند النوم ليلا

يعتقد كلّ الناس أن وراء خلق الليل حكما عديدة، وهي حقيقة أخبرنا الله عنها في قوله تعالى: **"وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ"** (يس، 37) . وأهم الحكم من غروب الشمس شيئا فشيئا وحلول الظلام رويدا رويدا بفضل هذا التعاقب وبفضل اختلاف درجة الحرارة بين الليل والنهار تتعوّد المخلوقات الحيّة على هذا الاختلاف فلا تتضرّر منه. إنّها رحمة من العلي القدير بعباده، وليكون ذلك تذكرة للناس الذين لم يفكّروا مرّة واحدة في تلك النعم.

المؤمن صاحب الأخلاق القرآنية يزداد اقتناعا بعد أن يعرف الحقائق بأن الله رؤوف بعباده تأييدا لما أخبرتنا به الآية 92 من سورة يوسف في قوله تعالى"...**وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"** (يوسف، 92) .

بلا شك فتعاقب الليل والنهار نعمة من نعم الله العديدة التي خلقها من أجل الإنسان وذلك مصداقا لقوله تعالى:

"قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ" (القصص، 71-72).

إنّ الله خالق الليل والنهار وهو الذي نظم تعاقبهما وهو الوحيد باستطاعته إنقاذ الإنسان من العتمة، ولو شاء لجعل الليل أو النهار إلى الأبد، لكن المخلوقات الحية لا تتحمل ذلك، وبالتالي تنعدم الحياة على وجه الأرض.



وبالليل أيضا يستطيع المؤمن تقييم نشاط يومه فيستحضر أخطاءه التي ارتكبها في يومه ويتفرّغ إلى الله بالتوبة والمغفرة ويسعى إلى قضاء وقته في الأعمال التي يرضاها الله تعالى فيذكره كثيرا ويتقرّب إليه ولا يهتمّ بالتفكير إلاّ في ملكوت الله وآياته ونظام الكون والمخلوقات الحية وفي هذا النظام المتكامل والنعم التي خلقها الله والجنّة و النار ...

المؤمنون الذين يخصصون جزءا من الليل للعبادة ذكرهم الله في القرآن بقوله تعالى:

"وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا" (الفرقان، 64).

ويقول تعالى:

"تتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ" (السجدة، 16)،

ويقول تعالى:

"أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ

" إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (البقرة، 164)،

وقال تعالى:

"إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُــونَ" (يونس، 6).

لقد خلق اللّٰه في الإنسان خلايا حيوية تساعد على النوم والاسترخاء بالليل وفي هذا الخصوص يقول اللّٰه تعالى:

"هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ" (يونس، 67)،

وكذلك قوله تعالى:

"ذَالِكُمُ اللهُ رَبَّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنّي تُؤْفَكُونَ"

(المؤمن، 61).

بالرغم من أن الليل يمثل فرصة للراحة والاسترخاء فإن له خصوصية أخرى وهي السكون الذي يخيم على الدنيا فيكون وقتا مناسبا للعبادة، فسكون الليل يختلف عن حركة النهار فيصفو الذّهن و تحلو العبادة والدعاء مصداقا لقوله تعالى:

"إِنّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْه تَبْتِيلاً" (المزمل، 6-8).

فأخطاء الإنسان لن تغفر وحاجاته لن تلبّى إلاّ إذا اجتهد بالدعاء ليلا،

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ"

(الزمر، 9).

بهذا الشكل يخصص المؤمنون قسما من الليل للذكر والدعاء والعبادة فيكونون قد طبّقوا سنّة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر الله تعالى هؤلاء في قوله:

"إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيْ اللَّيْلِ وَنِصْفهُ وَثُلثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ..." (المزمّل، 20).

تتحدث الروايات عن أنّ الرسول صلى الله عليه و سلم كان يدعو الله بأن يجعله حسن الاخلاق، ومن بين تلك الأدعية قوله صلى الله عليه وسلم: **"اللهم حسّن خلقي وخلقي، اللهم باعد بيني وبين خطاياي"** (**الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين ، المجلد الثاني**).

كما سبق أن ذكرنا فإنّ النوم هو عبارة عن موت مؤقت إذا شاء الله لن يفيق الإنسان بعده، لذلك على الإنسان أن يتضرع بالدعاء لله قبل الركون إلى النوم لعلّها تكون فرصته الأخيرة. هذه الحقيقة أخبرنا بها الله في قوله تعالى:

"اللهُ يَتَوَفَّي الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا المَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (الزمر،42).

خلاصة القول أن المؤمن الذي يعيش في رحاب الأخلاق القرآنية يستغل فرصة قد تكون الأخيرة قبل النوم، وهي حقيقة يجب أن تكون نصب أعيننا فندعو الله من صميم الفؤاد بأن يغفر ذنوبنا ويعيننا في أعمالنا، ولا نستجير إلاّ به سبحانه وتعالى.



الله خالق الأمهات والآباء وهو الذي بعث فيهم شعور الرحمة وجعل بينهم ميثاقا غليظا يجعل الوالدين يصرفون الليالي والسنوات في تنشأة أطفالهما دون كلل أو ملل وبكل حب وسعادة. يقول الله تعالى في كتابه العزيز متحدثا عن أهمية العائلة في حياة الإنسان :

"وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ" (لقمان، 14).

كما بين الله تعالى في القرآن الكريم واجبات الأبناء تجاه الوالدين وأمرهم بمعاملتهم معاملة حسنة فقال تعالى:

"قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا..." (الأنعام، 151)،

وقال تعالى أيضا:

"وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا..." (الأحقاف 15).

هكذا ترشد هذه الآيات إلى طريقة معاملة الوادين وتبين الأحكام الشرعية في هذا الخصوص وأهمّها الرّحمة والاحترام والحب والمعاملة الحسنة والقول الحسن، يقول تعالى:

"وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحُدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا" (الإسراء، 23).

وقد حرّم الله تعالى معصية الوالدين ومعاملتهما بشدّة وقسوة، وأمر بالرفق والرحمة بهما، بل وحرم على المؤمن أدنى درجات السلوك الذي ينم عن عدم احترام لهما وهو أن يقول لهما أفّ أو ينهرهما، وأمره بأن يقول لهما قولا معروفا. فالوالدان دائما في مقام إجلال واحترام عند المؤمن ويسعي دائما إلى



الجزء الثاني
المؤمن يعيش وفق الأخلاق القرآنية في كل الأحوال

معاملته للعائلة والأقربين

يفتح الإنسان عينيه لحظة ولادته فيجد حوله أبا وأمّا يرعيانه إلى أن يصبح إنسانا كاملا راشدا. هذا الأمر على كل مؤمن أن يقف عنده فيحمد الله ويشكره على نعمة الوالدين الذين يعيشان أوقاتا عصيبة لتنشأته. والمؤمن الذي يعيش في ضوء الأخلاق القرآنية يضع دائما نصب عينه هذه الحقيقة.

ومساعدة، ويمكننا في هذه الأيام رؤية أمثلة عديدة على ذلك، فنحن نرى آباء وأمهات في وضعية مادية ومعنوية غاية في الصعوبة فتراهم وهم في أرذل العمر يعيشان وحيدين في منزلهما دون معين أو أنيس، فإذا بحثنا عن أسباب سقوط بعض الناس في هذه الوضعية وجدنا أنهم أناس لم يتخذو من الأخلاق القرآنية منهجا لحياتهم، لذلك تراهم لا يأبهون بوالديهم.

أمّا الإنسان الذي يتخذ من القرآن الكريم منهجا فهو لايقصر أبدا في معاملة والديه وبقية العائلة بكلّ رحمة وشفقة ويدعو أقاربه وأصدقاءه إلى الدين الحقّ وإلى اتباع طريق القرآن لأن الله أمر المؤمنين بالبدء بالأقارب عند الدعوة إلى الله، يقول تعالى: "**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**" (الشورى، 214) .

خلاصة القول إن العائلة التي تطبق المعاني الحقيقية للأخلاق القرآنية تعيش حياة سعيدة مطمئنة على عكس ما أصبح مألوفا اليوم في بعض العائلات، فلا ترى إلاّ صياحا وهرجا ومرجا، ولا تسمع إلا كلاما بذيئا. وهذا السلوك لا تجده أبدا بين أفراد المجتمع المؤمن. فالمؤمن يعيش قمة السعادة عند اجتماع أفراد العائلة ويحترم الأطفال والديهم ويحبونهم حبا صادقا. والآباء والأمهات يرون في الأطفال أمانة وهبها الله لهم فيحمونهم ويرعونهم، فإذا ذكرت العائلة، يتبادر إلى ذهنك الحب والثقة والدفء والتكافل وحرارة العلاقات بين أفرادها. لكن يجدر بنا التذكير هنا أن بلوغ ذلك لا يكون إلاّ باتباع الأخلاق الدّينية بكلّ صدق وإخلاص، ولا نبلغ ذلك الهدف إلاّ بالخوف من الله والسعي إلى مرضاته.



توفير الراحة لهما ولا يبخل عنهما بالرحمة والاحترام.

والمؤمن يفهم جيدا مشقتهما عند الكبر ويحرص على تلبية حاجياتهما قبل أن ينطقا بها رحمة وشفقة بهما. والمؤمن الصادق يسخّر كلّ الإمكانيات المادية والمعنوية ليوفر الراحة لوالديه ويعاملهما -مهما كانت الظروف- بأسلوب مليء بالإجلال والاحترام. مع كلّ ذلك قد يواجه المؤمن أمرا آخر مع والديه وهو أن يكون أحدهما أو كلاهما في غفلة عن الله تعالى، في هذه الحالة يتّبع المؤمن كعادته طريق الشفقة والرحمة والمعاملة الحسنة بأسلوب ليّن يكسب به رضاهما فيدعوهما إلى طريق الايمان اقتداء بأسلوب سيدنا ابراهيم وهو يدعو أباه إلى طريق الايمان فيقول تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام:

"يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً" (مريم، 43-45) .

من جانب آخر نرى بعض الناس يولّي وجهه عن والديه إذا أصابهما الكبر وخارت قواهما ويصبحان في حاجة إلى عناية

الإمكانيات (الثروة، الأبّهة، الأموال، النفوذ) عليه ألاّ يكسل ولا يغترّ ولا يتكبّر. باختصار لا تكون هذه الإمكانيات سببا في ترك المؤمن للأخلاق القرآنية لأنّها نعم أنعمها الله عليه. والمؤمن يعي أنّ الله لو شاء لأخذها منه، ونعم الدنيا زائلة حتما وأنّ النعم الباقية لا توجد إلاّ في الجنة.

إنّ الإنسان الملتزم بالأخلاق القرآنية يكون المال والملك والنفوذ وجميع النعم الدّنيوية مجرّد وسائل للتقرّب من الله تعالى والتمسّك بعبادته، وهو يعرف أن تلك النعم الدنيوية بالنسبة إليه تصلح للتمتّع بها لمدّة معيّنة وليست هدفا في حدّ ذاتها، فمعدّل أمل الحياة عند الإنسان يتراوح بين 60 إلى 70 سنة وهي أطول فترة يمكن للإنسان التمتّع خلالها بالنعم الدنيوية ثمّ يموت ويترك بيته الذي أحبّه كبيرا وأفنى فيه عمره، بمعنى أنّه لا بدّ من يوم يفارق فيه الإنسان نعم الدنيا.

المؤمن يعرف أنّ الله وحده المنعم على الإنسان فيبذل ما بوسعه لإظهار الرّضا والمنّة ويشكر الله تعالى على تلك النعم، ويكون ذلك بالقول والفعل، فيذكر نعم الله ذكرا متواصلا، يقول تعالى:

"وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى أَلَمْ يَجِدْكَ



موقفه أمام النعم

إذا ما استخلص المؤمن الحكم من الأشياء التي اعتادت عيناه رؤيتها خلص إلى أنّ كلّ شيء خلقه الله هو نعمة، بمعنى أنّ عينيه اللتين يرى بهما وأذنيه اللتين يسمع بهما وجسمه وما يأكله وكلّ ما يتغذى به والهواء الذي يتنفسه وأمواله وإمكاناته ونظامه الحيوي وصولا إلى النجوم في السماء، كلّها نعم وهبها الله للإنسان، وهذه النعم من العدد ما لا يمكن حصرها يقول تعالى: "**وَإِنَ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**" (النحل، 18) . يحق للمؤمن التمتع بنعم الدنيا كلّها لكن حذار أن تغره أهواؤها الدنيا فينسى الآخرة. مهما توفّرت له



أمّا المؤمنون فيحمدون الله على نعمه لأنها دليل على عجز الإنسان أمام القدرة الإلهية المطلقة، والمؤمنون لا يشكرون الله على نعمة الغنى والمال والملك فحسب بل يشكرونه على كلّ النعم ظاهرها وباطنها ويحمدون الله على نعمة الصحة والجمال والعلم والعقل وحبهم للإيمان ومعرفتهم القبيح من الطيب، ويحمدون الله على وجودهم مع إخوانهم المؤمنين، وعلى نعمة التعقل والبصيرة وعلى أنهم أصحاب قوة بدنية وعزيمة نفسية. وكلّما رأى المؤمن منظرا جميلا أو حقق شيئا تمناه أوسمع كلاما رائقا أو قابله الناس بالحب والاحترام وغيرها من النعم الأخرى شكر الله كثيرا على رحمته الواسعة.

إن المؤمن إذا تواضع لله كلّما أنعم عليه بنعمة وابتعد عن الغرور والتكبر وأبدى تواضعا في حديثه وسلوكه زاده الله من نعمه، يقول تعالى:

"وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ"

(إبراهيم، 7) .



يَتيماً فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ" (الضحى، 5-11)،

ويقول تعالى: **"أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"** (الأعراف، 69).

ينتظر بعض الناس أن تنزل عليهم نعمة كبيرة أو أن تُرفع عنهم مصيبة ثقيلة ليشكروا الله عليها، غير أننا إذا انتبهنا قليلا اكتشفنا أنّ الإنسان يعيش كلّ لحظة في زخم هذه النعم، فالحياة والصحّة والعقل والحواس الخمس والتنفس والهواء وما شابه ذلك هي من النعم التي وهبها الله للإنسان في كلّ لحظة من لحظات الحياة. فكلّ نعمة من تلك النعم توجب الحمد والشكر.

وبعض الناس في غفلة من أمرهم لا يشكرون الله على تلك النعم التي هي في أيديهم لأنهم لا يعرفون قيمتها إلاّ إذا فقدوها.



وقد أمر الله بالإنفاق على الفقراء والمحتاجين بقوله تعالى: "...**وَيَسَأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ العَفْوَ** ..." (البقرة، 219)، وهي حاجة أخلاقية يتصف بها المؤمن الذي ينفق ما زاد عن حاجته في أعمال الخير طمعا في مرضاة الله تعالى.

لا شكّ أنّ مقابل العطاء هو الحمد والشكر، ولا بدّ من استعمال تلك النعم في مرضاة الله تعالى. والمؤمن مكلّف بتطبيق أوامر الله تعالى فيصرف أمواله في أعمال الخير ويستعمل نعمة الصحّة البدنية والإمكانيات المادّية لكسب مرضاة الله والفوز برحمته ودوام النعمة عليه بالفوز بالجنّة في الآخرة، قال تعالى:

"**إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِـــنَ المُؤْمِنيـــنَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الجَنَّةَ** ..." (التوبة، 111).

خلاصة القول إنّ المجتمع الذي يعيش أفراده في رحاب الأخلاق القرآنية إذا أصابه شيء من الفقر والجوع والفتنة وغيرها من المشاكل ينأون بأنفسهم من الوقوع في العنف والفوضي والقتل وما شابه ذلك من الأعمال المُشينة.



جميع النعم الدنوية هي في الوقت نفسه وسائل امتحان للإنسان، لذلك ترى المؤمنين يشكرون الله ويحمدونه ويحرصون على بذل تلك النعم في خير الأعمال، فلا مجال للبخل وجمع الأموال لأنّ البخل وجمع المال صفة أهل جهنّم وهذا ما حذّر منه الله تعالى في قوله:

"كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَة لِلشّوَى تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعًا"

(المعراج، 15-21).



رغم أنّ نعم الآخرة لها ما يشبهها في الحياة الدنيا إلا أنّ المقارنة من منطلق الواقع، فإنّ النعم الأخروية أسمى وأرفع شأنا من النّعم الموجودة في الحياة الدنيا. فقد خلق الله الجنة كاملة ومثلها أضعافا مضاعفة من الجمال، والإنسان الملتزم بالأخلاق القرآنية كلّما رأى شيئا جميلا في الجمال الأبدي الرائع في الجنة نظر إلى السماء وتصوّر أن هناك: **"جَنّة عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ"** (آل، عمران



موقفه إزاء مظاهر الجمال

إنّ الغنى والأبهة والجمال هي من مميزات الجنة، ولذلك فحتى يقرّب الله صورة الجنة من أذهان المؤمنين لكي يزدادوا بها يقينا وتزداد رغبتهم للفوز بها وهبهم الله في الدنيا نعمًا مشابهة لنعم الآخرة، أنهار عظيمة تجرى، وحدائق تشدّ الناظرين، وأجسام جميلة، وعيون ساحرة، وهذه كلّها نعم من الله وهبها للإنسان رحمة به وشفقة عليه. وكلّ نعمة خلقها الله لحكمة يعلمها، وقد بشر المؤمنين الصادقين بأنّ نعم الحياة الدنيا ما هي إلاّ نماذج من نعم الآخرة الخالدة فقال عزّ وجلّ:

" وَبَشِّرِ الَّذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْالصَّالِحَات أَنَّ لَهُمْ جَنَّات تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَة رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"

(البقرة، 25).



إنّ المؤمن الملتزم بالأخلاق القرآنية لا يحسد ولا يغضب إذا ما رأى غيره أكثر منه مالا أو جاها، ولايحزن إن لم يكن صاحب منزل فاخر لأنّ الحياة الدّنيا ليست غاية المؤمن بل غايته الفوز بالجمال الأبدي في الآخرة، وفي هذا الخصوص يقول الله تعالى: **"يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَان وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ"** (التوبة، 21).

أمّا الذين هم بعيدون عن الأخلاق القرآنية فيغضون الطرف عن نعم الآخرة ويتكالبون على ملذّات الدنيا، فهدفهم الشهرة وأن يكونوا أصحاب مكانة مرموقة وأن تتسع إمكانياتهم المادّية ليعيشوا حياة رغدة. هؤلاء همّهم الوحيد الجري وراء الحياة الدنيا الفانية، فيزدادون عليها إقبالا ويكبر عندهم الحسد والحزن والحرص على الدنيا كلّما رأوا الخير عند الآخرين. مثلا، إن لم يكونوا أصحاب منزل فاخر يشد

133)، وإذا شاهد مسكنا جميلا تصوّر: **"غُرَفًا تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ"** (العنكبوت، 58)، وكلّما رأى مجوهرات خلاّبة تذكّر وعد الله في الجنّة: **"أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا"** (فاطر، 39)، وكلّما رأى لباسا فاخرا تذكر لباس الجنّة "من سندس واستبرق"، و عندما يتذوق أكلا شهيا يتصوّر أكل الجنّة: **"فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍّ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَار مِنْ خَمْرٍ لَذَّة لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّي"** (محمّد، 15)، وكلّما شاهد حديقة غنّاء ذكّرته بجنان الجنّة: **"مُدْهَامَّتَان"** (الرحمن، 64)، وإذا رأى أثاثا جميلا تذكر أثاث الجنّة: **"عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ"** (الواقعة، 15).

كلّ هذه التصوّرات سواء تحققت في الدنيا أم لم تتحقق، فالمهمّ عند المؤمن أن تكون وسائل للتقرب إلى الله وهي تشويق المؤمن للاجتهاد والحرص على الفوز بالجنّة.



يفلت عن التصورات، مكان فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وجمال لم يخطر على بال أحد. لكن المسلم الصادق يبذل ما بوسعه ليجعل مكان عيشه على غرار النبي سليمان الذي حوّل قصره إلى تحفة فنّيّة من الجمال تمتعا بنعمة الغنى التى وهبها الله له. وقد أورد الله في القرآن الكريم قصّة سليمان عليه السلام فقال:

"فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رِبّي..." (ص، 32).

لقد وهب الله سليمان ملكا ومقاما عظيمين، ورغم ذلك فقد اختار الله وسخّر ملكه كلّه للدّعوة إلى الله، لذلك مدحه الله في القرآن الكريم وأمر المؤمنين أن يتّخذوا النبي سليمان وغيره من الأنبياء والمرسلين قدوة فينفقوا ما رزقهم الله من نعم في سبيل الله والفوز بعفوه ومغفرته.



الناظرين يصابون بالإحباط ويشغلون أذهانهم بالبحث عن الإجابة عن أسئلة من نوع "لماذا أنا لست غنيا؟"، أو "لماذا لا أملك مثل هذا المنزل الفاخر؟". وباختصار نعم الدنيا عند هؤلاء الناس مصدر للقلق لأنّ سعادتهم لا تتحقق إلاّ إذا حصلوا على تلك النعم.

أمّا الذين يعيشون في كنف الأخلاق القرآنية فيعرفون كيف يتمتّعون بنعم الدّنيا سواء أكانوا هم أصحابها أم لم يكونوا. فمثلا، قد يمتحن المؤمن فلا يعرف أجواء الأغنياء ولا العيش في محيطهم، فيعرف المؤمن ساعتها أن وراء ذلك حكمة إلهية لأنّه ليس من الضروري أن يعيش المؤمن في الأماكن الغنية حتى يكتشف جمال مخلوقات الله لأن المؤمن بفراسته وتفتح بصيرته يتمتّع بمخلوقات الله في كلّ مكان و زمان، فمنظر النجوم في كبد السماء روعة، وجمال منظر الزهور ورائحتها الطيّبة جمال لا نظير له، وأمثلة يومية كثيرة يمكن لأي شخص ملاحظتها فتبعث السعادة والطمأنينة في نفس المؤمن وترفع إيمانه.

كما سبق أن ذكرنا فإنّ اشتياق المؤمن لجنة الخلد وملك لا يبلى يجعله يحوّل كلّ مكان في الأرض إلى جنّة تسكن لا محالة خيال كلّ إنسان وهو مكان



شك وراءها خير ما. هكذا يرى المؤمن الصادق الحياة عموما (للمزيد من المعلومات أنظر كتاب هارون يحيى: توسم الخير في كلّ شيء).

وكمثال على ذلك أن يفقد الإنسان أشياء أحبها كثيرا، هذا الحادث في ظاهره سيء، ولكنه في باطنه يحمل حكما كبيرة لأنه يفتح بصر المؤمن عن أخطائه وهو وسيلة ليراجع المؤمن نفسه وينتبه أكثر في المستقبل.

كما أنّ مثل هذا الحادث يذكّر المؤمن أن كلّ شيء لله تعالى، وأنّ الإنسان لا يملك شيئا في الحياة الدنيا، والعبرة من هذا الحادث تنسحب على كلّ الحوادث اليومية مهما كان حجمها وأهمّيتها، كأن يقوم أحدهم نتيجة إهمال أو قلّة انتباه بدفع أموال في غير محلّها، أو أن يقضّي ساعات أمام الحاسوب لإعداد واجباته المدرسية فينقطع الكهرباء فجأة فينمحي كلّ ما كتبته، أو أن يجتهد الطالب كثيرا فيصاب بالمرض يوم الامتحان فيخسر فرصة الدخول إلى الجامعة، أو تتعطل أعماله نتيجة البيروقراطية الزائدة أو نتيجة نقص في الوثائق فيقضي الأيام في الذهاب والإياب وانتظار دوره، أو أن تضيّع موعد الطائرة أو الحافلة للذهاب إلى مكان تريد الوصول إليه على عجل... كلّ إنسان يمكنه أن يعيش مثل هذه الحوادث السلبية. لكن بالنسبة للمؤمن الصادق ينطوي كلّ حادث من هذه الحوادث على خير كثير، لأن المؤمن يفكر أولا في أنّ الله يمتحن سلوكه و صبره.

والمؤمن الذي يفكر في الموت والحساب لا يشغل نفسه ولا يضيع وقته في الحزن لمثل هذه الأحداث لأنّه يعلم أن كلّ حادث وراءه خير بإذن

موقف المؤمن حيال الأحداث التي تبدو سلبية

قد يتعرض الإنسان خلال اليوم إلى مصاعب مختلفة، لكن المؤمنين يسلمون أمرهم إلى الله مهما واجهوا من مصاعب، وهم يتوكّلون على الله ويعتبرون ان ذلك امتحان يمتحن الله به المؤمن في الحياة الدنيا. إنّها حقيقة لا يجب أن تغيب عنّا أبدا، وإذا ما قابلتنا صعوبات في أعمالنا أو أنّها لا تسير كما خططنا لها فلا ننسى أنه ابتلاء يختبر به الله سلوكنا.

ومن الآيات التي تفيد بأن جميع الأحداث التي يعيشها الإنسان هي قدر الله ومشيئته قوله تعالى:

"قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّل الْمُؤْمِنُونَ"

(التوبة، 51).

إنّ كلّ ما يعيشه الإنسان في حياته هو بعلم من الله وقدره، ولا



بأنه يمكن أن يكون قد منع أضرارا أكبر إذا أتمّ أعماله بهذا الشكل.

إذا أضاع المؤمن موعد انطلاق الحافلة التي ستقلّه إلى مكان يقصده يقول في نفسه "لعلّ بتأخّري و عدم ركوبي الحافلة أكون قد نجوت من حادث سيء".

هذه مجرد أمثلة فقط، وتوجد حكم أخرى كثيرة قد لا نكتشفها لحظة وقوع الحادث. مثل هذه الحوادث قد تكثر في حياة الإنسان لكن المهم أن الفائز هو الشخص الذي يبحث عن الخير وراء تلك الحوادث لأنّ الله يعلم الإنسان في آياته بقوله تعالى:

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ

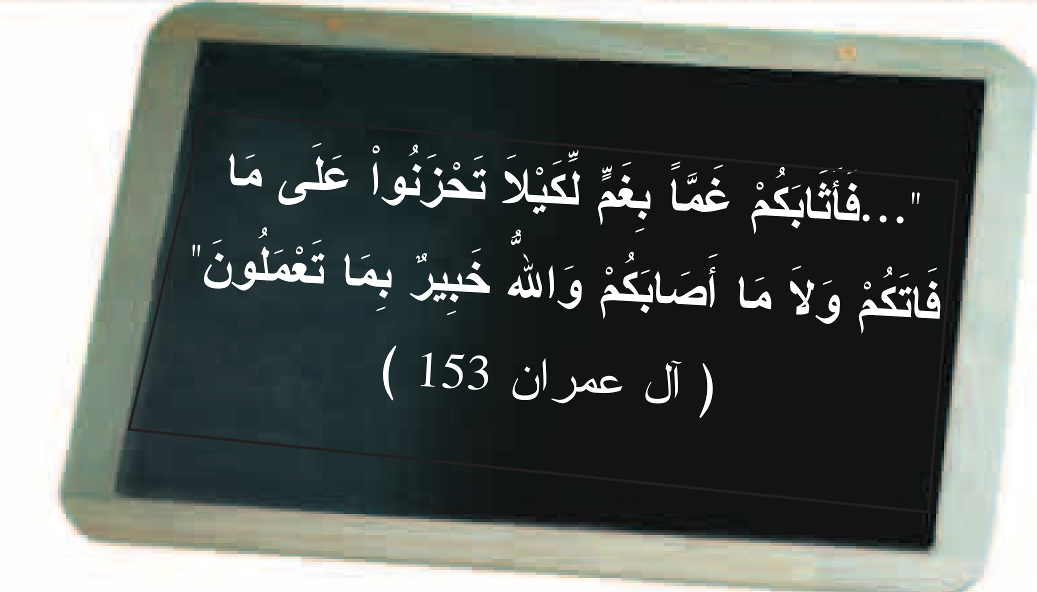
الله تعالى، لذلك تراه يتجنب الشكوى بعد كلّ حادث بل يدعو الله أن يعينه على قضاء حاجاته ويسهّل عليه أعماله. وكلّما تيسر له عمل وقضيت له حاجة تيقن أنّ الله استجاب لدعائه فيحمده و يشكره على ذلك. وبالتالي فالذي يفكر بهذا الأسلوب لا ييأس ولا يحزن و لا يخاف ولا يفقد الأمل أبدا لأنّ مثل هذه الأحداث شيء طبيعي في حياة كل فرد.

تخيل أن إنسانا على وشك إتمام الأمر الذي خطط له، وفجأة يتعرّض لمشكل يفسد عليه كل ما خطط، هذا الإنسان سيغضب ويحزن كثيرا ويعيش لحظات عصيبة، غير أن الإنسان الذي يفكر في أن وراء ذلك خيرا سوف يسعى إلى استخلاص العبرة من هذا الحادث وسيخلص إلى نتيجة مفادها أن عليه اتخاذ الاحتياطات الضرورية ويشكر الله



هكذا يختبر الله الإنسان بمثل هذه الحوادث وبشره بالخير و الثواب إذا ما صبر وثابر. والصبر المقصود في هذه الآية ليس صبر المغلوب على أمره المجبر على قبول الحادث بل صبر المتوكل المسلّم أمره لله منذ لحظة تلقيه الخبر أو معايشته للحادث، فيحافظ على رصانته ولا ينسى أبدا أنّ كلّ شيء مقدّر بحساب.

قد يخسر الإنسان يوما أشياء أهمّ وأعظم كأن يفقد عمله الذي يعيش منه ، إنّه حدث جلل بالنسبة للإنسان الذي يؤمن بأنّ مستقبله وحياته مرتبطان بذلك العمل لأنّه تربّي على أن يكون هدفه الوحيد في الحياة الحصول على عمل جيّد يعلو به السلّم الاجتماعي، لذلك فإنّ فقدانه عمله يسبب له الإحباط و اليأس، وتنقلب حياته رأسا على عقب. أمّا المؤمن فيعلم أن الرّازق هو الله تعالى، وما العمل إلاّ وسيلة يحصل بها الإنسان على النعم التي خلقها الله. لذلك يواجه المؤمنون خبر انفصالهم عن العمل بكلّ صبر وثبات وتعقل وبالدعاء والتذرع لله، ولا ينسون أبدا أن المعطى هو الله وهو يرزق



خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ" (البقرة، 216).

هكذا يعلّمنا الله أن الشيء الذي نراه شرّا يمكن أن يكون خيرا، والشيء الذي يتراءى لنا خيرا يمكن أن يكون شرّا من حيث لا ندري. لكن الله يعلم ذلك، و ما على الإنسان إلاّ أن يسلّم أمره لله الرحمن الرحيم.

الإنسان يمكنه أن يخسر كلّ شيء في لحظة واحدة كأن يحترق منزله أو تحل به أزمة اقتصادية يخسر فيها جميع أمواله أو أيّ حادث يخسر فيه ما أحبّ من الأشياء. مثل هذه الحوادث الكبيرة يمكن أن يمتحن بها الإنسان في الدنيا، وفي هذا الخصوص يقول الله تعالى:

"وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ" (البقرة، 155).

وإرضاء لنزواتي؟ ".

يطرح الإنسان على نفسه هذه الأسئلة، ويحاول الإجابة عليها بكلّ صدق مع نفسه، فيحاول إصلاح سلوكه ويسعى إلى مرضاة الله بالدّعاء بإخلاص، ويستغفره على كلّ ذنب قام به عن جهل. وقد علّمنا القرآن الدّعاء في مثل هذه المواضع: "...**فَأَثَابَكُمْ غَمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**" (آل عمران 153)، ويقول تعالى: "**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِير لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**" (الحديد، 22-23).

خلاصة القول أن ما يعيشه المؤمن من مصاعب متعاقبة لا تعدو كونها امتحانا من الله تعالى فيزداد تقرّبا لله، ويتمسك أكثر بالأخلاق القرآنية . هكذا يعى المؤمن أنّ الله أعده بهذا الشكل ليفوز بالنعم التي لا تبلى عند الله تعالى.



من يشاء بغير حساب.

إنّ الإنسان الذي يلتزم بالأخلاق القرآنية يتحكّم في إعصابه ويتّزن في تصرّفاته أمام خبر انفصاله عن العمل أو فشله في إتمام دراسته في المدرسة التي يحبّها، ولا يشغل عقله إلاّ بالاحتمالات التالية: "ألا يكون فقداني لأموالي وأملاكي أو أشيائي نتيجة تقصيري في شكر الله؟" "، ألا يكون السبب بخلي أو جحودي بالنعم التي أنعمها الله بها عليّ؟"، " ألا يكون ولعي بالجمع قد أنساني الله والآخرة؟ "، " ألا يكون قد أصابني الكبْر والغرور وابتعادي عن الأخلاق القرآنية؟"، " ألا يكون عملي ليس الهدف منه إرضاء الله بل كسب مرضاة الآخرين وجلب إعجابهم والفوز بتقديرهم أو إرضاء لغرور نفسي



الله ليشفيه من علّته اقتداء بسيدنا أيوب الذي يدعو الله ليرحمه من المرض فيقول تعالى:

"وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (الأنبياء 83) .

ينبغي الإشارة هنا إلى أنّ الأدوية المستعملة للعلاج ما هي إلاّ وسائل، ولا تشفي المريض إلاّ بإذن الله تعالى لأنّ الإمكانيات الطبّيّة من أدوية كلّها مستخرجة من الحيوان والنباتات التي خلقها الله تعالى.

باختصار، إن الشافي هو الله وحده لا شريك له كما قال سيدنا ابراهيم في قوله تعالى: **"وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ"** (الشعراء، 80).

أمّا الذين ما زالت تسكنهم الأفكار الجاهلية فبمجرد إصابتهم بالمرض يثورون ويضجرون متسائلين: "لماذا أصبت بهذه المصيبة؟"، فيتمردون على القدر، إنه تصرف خاطئ يفقد صاحبه القدرة على مواجهة الحدث بطريقة سليمة.

غير أنّ المرض بالنسبة للمؤمنين فرصة هامّة يستغلّونها لمحاسبة النفس والتقرب من الله أكثر ويفكّرون في الحكم الخفية وراء هذا الحدث، ويتذكرون مرّة أخرى نعمة الصحة وعجز الإنسان. فبمجرد نزلة صدرية يمكن أن تلزم الإنسان الفراش. في مثل هذه الظروف مهما كان الإنسان قويّا أو غنيّا فهو عاجز، وعليه أن يشرب الدواء و يلزم الرّاحة.

هذه الظروف يحتاج فيها الإنسان لله وهو طريق للإخلاص في الدعاء علاوة على أن كلّ مرض ينبه المؤمن إلى أنّ الحياة فانية وأن الموت والآخرة أقرب إليه ممّا يتصوّر.



إنّ المؤمن الحق يكون أشدّ صبرا وإيمانا وتوكّلا على الله عند المرض لأنّه يعلم أن المرض هو اختبار من الله في الدنيا، لذلك تراه صبورا مهما كانت شدة مرضه، ويدعو الله بكلّ إخلاص لأنّ خالق المرض هو الله وخالق الدواء هو الله. و قد نوه الله في القرآن الكريم بصبر المؤمن عند المرض فقال

"لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" (البقرة 177)

المؤمن يواجه المرض بالصبر ويستعمل الدواء الشافي ليتعافى من مرضه، فلا يكون حسّاسا ولا يتصرف كالذي يسعى إلى جلب الأنظار إليه، ويحرص على استعمال أدويته بطريقة علمية منظمة دون أن ينسى الدّعاء والتضرع إلى

مطبخ كلّه روائح كريهة، أو مكان ضيق أو مكان مظلم... بالنسبة للمؤمنين فإنّ وجود مثل هذه الأماكن تكمن وراءه حكم خفية، فهي تذكّر بعذاب جهنّم الذي لا يقاس بأيّ عذاب في الدنيا، وقد جاء وصفها في القرآن الكريم: "**إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا**" (الفرقان، 6).

إنّ قبح جهنم وظلمتها عرفناه من خلال الكثير من الآيات، كقوله تعالى:

"**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لاَ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ**" (الواقعة، 41-44)،

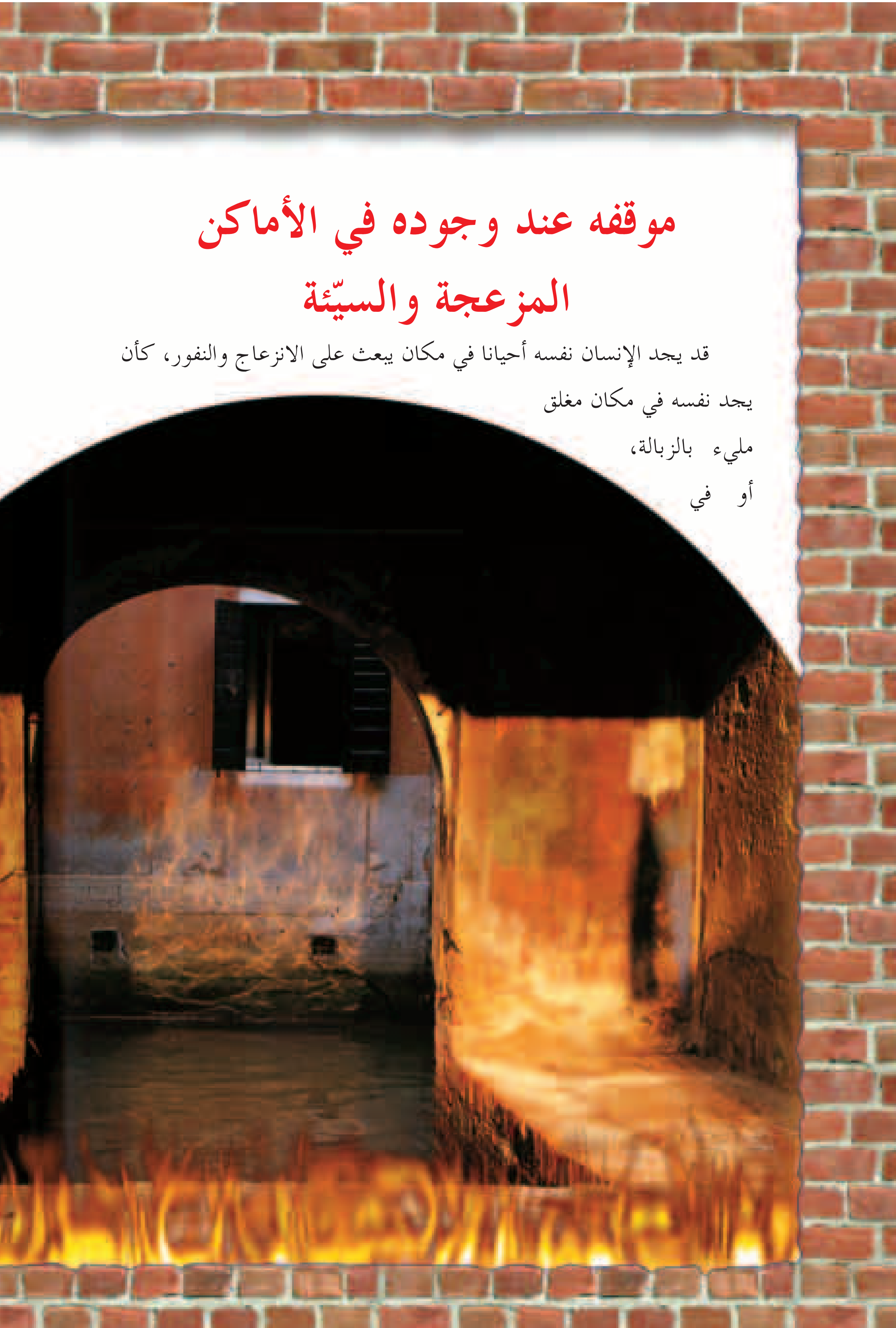
ويقول تعالى: "**وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا لاَ تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا**" (الفرقان، 13-14) .

إنّ الإنسان المتذكر لهذه الآيات يسعى إلى إنقاذ نفسه من عذاب جهنم بالدعاء إلى الله وطلب المغفرة. وحسب الوصف القرآني لجهنم فهي مكان وسخ، ذو روائح كريهة، ضيق، مظلم، به دخان كثيف، سخامي مخنق. وهو مكان غير آمن فيه نار موقودة.

وتوجد في جهنم أبشع المأكولات والمشروبات، وفيها لباس من نار وعذاب أبدي لا نهاية له. أهل جهنم تحترق جلودهم، وكلّما احترقت جلودهم جدّدت لهم مرّة أخرى وهم يتضرعون ويستغيثون من شدّة العذاب، حتى أنهم يطلبون الموت كأننا أمام مشاهد التقطت بعد حرب نووية. لكن تأثير تلك المشاهد على النفس لا يساوي شيئا أمام

موقفه عند وجوده في الأماكن المزعجة والسيّئة

قد يجد الإنسان نفسه أحيانا في مكان يبعث على الانزعاج والنفور، كأن يجد نفسه في مكان مغلق مليء بالزبالة، أو في



أجواء جهنم القاتمة، وليس هذا سوى تشبيه وتقريب لصورة جهنم من الأذهان لأنّها أسوء ما عرفه الإنسان.

المكان الضيق، الوسخ، المظلم والساخن في الدنيا تضيق النفس به، أمّا جهنم فهي فضاء خانق، ويمكن تجنب الحرارة في الدنيا باستعمال التقنيات المتقدمة، أمّا حرارة جهنّم فلا حلّ لها لأنّ حرارتها أقوى من حرارة الصحراء، وفيها ظلمة قاتمة، لا قدرة للإنسان على تحملها.

لا نجاة ولا راحة للمنكرين الكافرين من عذاب جهنّم، هذا ما تخبرنا به الآيات القرآنية من صور العذاب المختلفة في جهنم التي لا يمكن مقارنتها بصور العذاب في الدنيا لأنها أعظم وأشد. فالآلام التي يحس بها الإنسان في الدنيا تخف بعد مدّة قصيرة وتشفى الجروح بمرور الزمن، أما آلام جهنم فهي أبدية ولا تخف إلاّ بإذن الله تعالى.

وهناك حكمة أخرى من وجود هذه الأماكن الوسخة يستطيع المؤمن التوصل إليها، ويمكن أن نفهمها بالمثال التالي: يمكن أن يترك الإنسان مكانا ما لم ينظفه سواء ناسيا أو مهملا، لكنه إذا ما رأى تلك الأوساخ تبين رحمة الله ولطفه، ويتبين له كذلك مدى خطئه حين ترك ذلك المكان ولم يعتن بنظافته، لأنّ الله وهبه مكانا طاهرا ليعيش فيه وهو ضيفٌ فيه ألا وهو هذه الأرض. لذلك على الإنسان أن يحافظ على نعم الله وأن يقوم بخير الأعمال في الدنيا حمدا وشكرا لله على تلك النعم. أما إذا فعل عكس ذلك فهو يكون مستحقا لغضب الله تعالى. والمؤمن العاقل يفهم ذلك جيدا، فيحرص على النظافة ويقوم بإصلاح أخطائه ويحرص على أن لا يعود إلى هذا الخطإ مرة أخرى.



" وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ" (الأعراف، 11-13).

طلب الشيطان من الله إمهاله إلى يوم القيامة ليغوي الإنسان ويبعده عن الايمان، وقد قال تعالى:

" قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَّدْحُوراً لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ" (الأعراف، 14-18)

هدف الشيطان إذن إغواء جميع الناس بمن فيهم المؤمنين الصادقين عسى أن يصحبه كثير من الناس إلى جهنم وبئس المصير. ويقف الشيطان حجر عثرة أمام عبادة الإنسان لربه بكلّ إخلاص وخشوع، وهو يحرص على إبعاد المؤمنين عن الدين والقرآن وجذبهم إلى العذاب الأبدي.

أمّا المؤمنون فيعلمون أن عدوهم الأكبر هو الشيطان، وأنه يعمل دون توقف، لذلك تراهم حريصين جدّا على تطبيق أوامر الله تعالى حذرين من حيل الشيطان وكيده، كما تراهم يقظين من وساوس الشيطان ووعوده الفارغة وتحريضه على الشك في القرآن ورفض الأخلاق القرآنية أوإلهائه عن العمل



يواجه وسوسة الشيطان بحذر و يقظة

يعمل الشيطان دائما على غواية الإنسان وإبعاده عن الطريق الحق، ولقد أعلمنا القرآن بذلك، لا شغل للشيطان خلال كامل اليوم إلاّ ذلك العمل، ولا يفرق بين فقير وغني، أو شاب و شيخ أو جميل و قبيح لأنه يبغض كلّ الناس.

بدأت عداوة الشيطان للإنسان مع أول بشر وهو سيدنا آدم عليه السلام حيث أمر الله ملائكته بالسجود لآدم فرفض الشيطان أمر الله بالسجود غيرة وحسدا من آدم، لذلك طرده الله من الجنّة. قال تعالى في هذا الخصوص:



الشيطان فقال تعالى:

"قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ" (الناس، 1-6).

إنّ المؤمن الملتزم بالأخلاق القرآنية يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ولا يفسح الطريق لوساوس الشيطان تمر إلى ذهنه، ولا يفكر إلاّ طبقا للأخلاق القرآنية. والمؤمن دائما يقظ ولا يأبه لكلام الشيطان ولا يسمح بتدخل الشيطان في أفكاره وأعماله، ومهما واجهته من مصاعب في حياته فلا يتصرّف إلا بما يرضي الله تعالى، بل يفكّر ويتحرك بكلّ وعي ومسئولية. فهو في جميع الأحوال والظروف يتكلم ويتصرف وفقا لما جاء في القرآن الكريم. هكذا لا يتأثر المؤمن بغواية الشيطان وقد أخبرنا الله في القرآن الكريم بالحقيقة فقال عز وجلّ:

"إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ"

(النحل، 99-100).



بها. وباختصار يسعى الشيطان لشغل المؤمنين عن طريق الله والقرآن (لمزيد من المعلومات أنظر كتاب هارون يحيى: الشيطان: العدو الحقيقي للإنسان). قال تعالى في سورة البقرة:

"الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" (البقرة 268) .

توضح الآية الكريمة سعي الشيطان إلى جعل الإنسان ينسى أنّ الله يرزق جميع المخلوقات الحية ويخيفه بأن الجوع سوف يصيبه ولن يستطيع جمع المال. بهذا الشكل يسعى الشيطان إلى غواية الإنسان ليكون من أتباعه، لذلك أنار الله سبيل الإنسان ليواجه وساوس الشيطان في قوله تعالى:

"وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ" (الأعراف، 200-201).

إن اللجوء إلى الله تعالى هو أكبر سلاح لمواجهة وساوس الشيطان، وينبغي ألا ننسى أن الشيطان تحت سيطرة الله تعالى ولا يستطيع فعل أيّ شيء إلاّ بمشيئة الله. وقد أمرنا الله

بالاستعانة به بالدعاء لمواجهة

السلوك اللاّأخلاقيّ.

إنّ الذين يتبعون طريق العفو والتسامح وينيرون أمام االآخرين طريق الصواب هم أصحاب الأخلاق السامية مصداقا لقوله تعالى: **"وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ"** (الشورى، 43). أمر الله الإنسان أن يكون رحيما، متسامحا، عفوّا تجاه أخيه الإنسان، وفي هذا الخصوص قال تعالى:

" وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (النور، 22)

لذلك فإن المؤمن عليه أن يكون لينا ومتسامحا ومتفهّما للآخرين عند التعامل معهم، فمثلا إذا أفاق صباحا على ضوضاء أحدهم فعليه أن يكون متسامحا مع ذلك الإنسان، ولا ينس أنّه يتصرف بإذن الله تعالى رغم أن مثل هذا التصرف يثير الغضب وهو سبب معقول للخصام و النقاش. ولنذهب أبعد من ذلك، على المؤمن أن يعامل الإنسان معاملة حسنة حتى وإن كان سببا في الإضرار به بحادث قد ينتج لقلة انتباه. فمهما كانت الظروف التي يقابلها المؤمن لا يغضب ولا يفقد سيطرته على أعصابه ولا يفسد في الأرض، وعليه



التفاهم والتسامح والعفو

قال تعالى"...**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**..." (النساء، 36). يأمرنا الله تعالى في هذه الآيات بمعاملة الناس بالحسنى وتجنب الخصام والجدال والعناد، وعلى الإنسان أن يدعو الناس إلى الأخلاق الحسنة. ولأن المؤمن يعيش بالأخلاق القرآنية فهو دائما مسالم مصلح بين ذات البين مبادرا بالعمل الصالح. أما الذين هم أبعد ما يكون عن الأخلاق الدينية فحياتهم كلها خصومات ونزاعات وجدل وغير ذلك من



أن يعامل الناس كما يحب أن يعاملوه.

كما أوضحت الآية 22 من سورة النور

فإن المؤمن يأمل من الله الرحمن الرحيم أن يغفر له خطاياه، لذلك فإن المؤمن الذي لا يحرص على تطبيق صفة "الرؤوف" في حياته ينحرف عن الأخلاق القرآنية لا محالة، لأن الإنسان الذي يعيش في ضوء الأخلاق القرآنية يتمتع بأسمى الصفات الأخلاقية، فهو الذي يمنع الخصام والجدال في بيته وعمله وفي الطريق بفضل ما يظهره من وعي ورصانة طوال اليوم، فيكون بذلك مثالا للأخلاق والسلوك الحسن أمام الآخرين. وأهمّ من ذلك يكون قد طبق سلوكا محمودا عند الله ، فيكون قد تصرف بما يرضيه سبحانه وتعالى.

ذكر حجة الإسلام الإمام الغزالي معلومات وردت عن علماء الحديث في أخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام في مجالسته للنّاس أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يفضل أحدا على أحد





التحلّى بالصبر

يطبق بعض الناس في مجتمعات
مختلفة بعض الأخلاق الحسنة التي أوصى
بها الله تعالى في كتابه العزيز، وهؤلاء الناس متصفون
بالتضحية واللين والرحمة والعدل وحبّ مساعدة الغير، لكن مهما ادّعى هؤلاء
بأنهم أصحاب أخلاق عالية فلن تكتمل أخلاقهم إلاّ إذا تحلّوا بصفة الصّبر.
مثلا، يمكن أن يستغرق الإنسان صباحا في النوم، ولديه امتحان مهم، وفجأة
يفيق من نومه ويحاول اللحاق بموعد الامتحان فيفاجأ بتعطل حركة
المرور، ولا يمكنه إخبار مركز الإمتحان بتأخره نظرا لعدم وجود
هاتف قريب من مقرّ سكناه. هكذا، وفي خضم هذا الجو المتوتر
يسأله شخص ما عن أمر معين فيجيبه بغلظة أو
أنه لا يجيبه وينظر بشزر بالرغم من أن الشخص
يدّعى دائما أنه محبّ للخير متفهّم للآخرين
ومتسامح معهم.

إنّ المؤمن الحق لا يحيد مهما كانت الظروف
عن الأخلاق القرآنية، فلا يتصرف تصرّفات خاطئة
ولا تصدر عنه ألفاظ بذيئة، ويتعامل مع الآخرين
بصبر جميل(لمزيد من التفصيل أنظر: كتاب
هارون يحيى، أهمية الصبر في القرآن) .

ومثال ذلك أن يدفعه أحد ما أثناء



بوجهه، فكل من يجالسه ينال نصيبه بالنظر إلى وجهه الكريم حتى يظن كل واحد أنه أحب إليه من غيره. نعم كان الحاضرون ينعمون بمجلسه الطيب وبكلماته ومزاحه اللطيف. وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وسكينة...وكان ينادي الصحابة بكنيتهم إكراما لهم وتطييبا لخاطرهم، ومن لم تكن له كنية جعل له كنية وناداه بها. وكان أبعد شيء عن الغضب. والشيء القليل يرضيه صلى الله عليه وسلم. وكان أرحم الناس بالناس، فخير الناس من نفع الناس وأعطاهم من خيره.

علينا أن نتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم قدوتنا، ونعم القدوة هو. والإنسان الملتزم بالأخلاق القرآنية والسنة النبوية يعيش حياة سعيدة بإذن الله، وفي الآخرة يتلقّاه برحمته الواسعة وغفرانه.



الكلمة الطيبة

يرجح بعض الناس الردّ على الإساءة بالإساءة ولا يسمح لهم مزاجهم بأن يكونوا كاضمين للغيض عافين عند المقدرة بل يقابلون الكلمة السيّئة بأسوء منها، فيطقون ألفاظا غير لائقة ويستعملون عبارات نابية تجرح الطرف المقابل، ويركبهم الكبْر وينسون الاحترام، وهذا ينم عن الاستعلاء والتكبر.

إن هذه التصرفات منافية تماما للأخلاق القرآنية لأن القرآن يؤكد أن الكلمة الطيبة بركة وتعود بالنفع على صاحبها، وقد ضرب الله لنا مثلا في قوله تعالى:

"أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ"

(إبراهيم، 24-27).

تؤكد الآيات أن الإنسان الذي يعتمد الكلمة الطيبة أسلوبا في حياته يفوز



صعوده الحافلة أو يسمعه كلاما لا يحبه، أو أن تمرّ بجانبه سيارة فتلطخ ثيابه بالوحل. هذه النماذج موجودة بكثرة في حياتنا. هنا يكون ردّ فعل المؤمن الملتزم بالأخلاق القرآنية كالتالي: المؤمن يؤمن بأن هذه الأحداث مقدّرة ولا يمكنه منع حدوثها، لذلك فهو يتحلّى بالصبر الجميل ويبتعد عن الغضب والانفعال ويحاول تجنب مثل هذه الأحداث في المستقبل، ويحاول بكلّ ما أوتي من قوّة تجنب التوتر وتصعيد الخصام ويجيب بكلمات طيبة تطبيقا للأخلاق القرآنية لأنّ المؤمن يتسلح بالصبر لإبعاد الضرر عنه نزولا عند قوله تعالى:

"وَلاَ تَسْتَوِى الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بالَّتي هيَ أَحْسَنُ فَإذَا الَّذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَميمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ" (فصّلت، 34-35).



أمر الله تعالى. وقد قال الله تعالى:

"وَقُلْ لعبَادي يَقُولُوا الّتي هيَ أَحْسَنُ إنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِغُ بَيْنَهُمْ إنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ للإنْسَان عَدُوًّا مُبينًا" (الإسراء، 53).

هكذا تبين الآية أن الشيطان يبعد الإنسان عن القول الجميل ويحاول بث الفتنة بين الناس بمجرّد أن يتلفظ أحد المتخاصمين بكلمة سيئة، فيتدخل الشيطان على الفور ليؤجج نار الفتنة، فيردّ الإنسان بكلمة سيئة ويسقط الطرفان في شباك الوسواس الذي يوسوس في صدور الناس ممّا يفسد العلاقات الإنسانية وينهي الصداقة بين الأصدقاء.

أمّا الكلمة الطيبة فهي تنتصر على الشيطان، وعلى المؤمنين أن يتبادلوا الكلمات الطيبة وأن لا يفسحوا المجال للشيطان ببثّ الفتنة بينهم. بذلك تتوطد العلاقات بين الناس ويحصل التقارب وتقوى الالفة بين الناس. وقد أوصى الرسول عليه الصلاة و السلام المؤمنين، في كثير من أحاديثه، بالتحابب والتحلّي بالأخلاق الطيبة، من ذلك قوله عليه الصلاة والسّلام: إنّما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق.



بحسنة الدنيا والآخرة وتكون له مقابل ذلك نعم لا مثيل لها، أمّا الذين يعتمدون الكلمة الخبيثة فعاقبتهم نار جهنم ويكونون قد اختاروا طريق الظلال.

يخاطب المؤمن الناس بأسلوب ليّن ويدعوهم إلى الطريق الحقّ معتمدا القرآن الكريم منهجا لدعوته فيذكّر الناس بالآيات الكريمة، ويقول لهم قولا حسنا. كما يشرح المؤمن الأخلاق القرآنية بأسلوب سهل بسيط حتّى يحبب الأخلاق القرآنية لأصدقائه ويهديهم إلى الطريق القويم ويحدّثهم أحاديث تبعث فيهم النشاط والحيوية والأمل في حياة طيبة. والمؤمن بهذا الأسلوب هو عند الله مثل الشجرة الطيبة التي تعطي ثمارا طيّبة.

غير أن بعض الناس ينقدون صفات الناس ونقائصهم غايتهم الحطّ من قيمتهم وإهانتهم. وهذا الأسلوب الخطأ حذر منه الله تعالى في الآيات السابقة وشبه قولهم بالشجرة الخبيثة التي لا تنفع الناس ولا تثمر ثمارا طيبة، لأنّ الكلمة السيئة تفسد العلاقات الاجتماعية وتحبط العزائم وتبعث على الحزن والتشاؤم. أمّا المؤمن إذا تحدث مع شخص فهو يحاول –بأسلوب ليّن ومن خلال اختيار كلمات حسنة –أن يذكره بأخطائه فلا يجرح شعوره ويكون بذلك قد طبق

العون فيُذهب عنهم الهمّ ويبعث في قلوبهم المسرة و الأمل وحبّ الحياة.

السهر على راحة الآخرين وعدم إزعاجهم صفة حميدة يتحلّى بها المسلم. والإنسان داخل الأسرة يحرص على نظافة الأشياء التي يستعملها مع أفراد العائلة ويحافظ على ترتيب البيت فيكون مثالا يحتذي به، فلا يزعج الآخرين كأن يتحدث بصوت عال أو يفتح الموسيقى فيزعج الآخرين الذين يستريحون من عناء اليوم. وهو لا يكون سببا في تعطيل من يكون في حاجة لقضاء شأن مستعجل، وغير ذلك من الأمور التي يقابلها الإنسان يوميّا.

التفكير الرصين من أهمّ مظاهره إيثار الغير على النفس، فعندما يتحدث شخصان في الموضوع نفسه يترك الواحد منهما للآخر المجال ليتحدّث، ومن مظاهر الإيثار أن يترك المرء شيئا من الطعام الذي شارف على النفاد لغيره إذا كان يؤاكلهم. وهي أمثلة نضربها لتوضيح معنى التفكير العميق. ومن مظاهر الإيثار أن تترك مكانك لغيرك في حافلة مزدحمة أو تتنازل عن دورك داخل طابور يزدحم الناس فيه لدفع ثمن شيء ... هذه السلوك اللّطيف يساهم في تقارب الناس وتحاببهم، ويمتّن العلاقات الاجتماعية فيعمّ الحبّ والاحترام بين أفراد المجتمع. وفي المقابل إذا حرص كلّ شخص على منفعته ومصلحته الشخصية وحاك المؤامرات والدسائس لغيره، وإذا حاول كلّ واحد التقرّب من الآخر لتحقيق مصلحة شخصية



التفكير العميق

يتميّز المجتمع الجاهلي بالفظاظة والغلظة وقلّة الاحترام. والمؤمنون يرفضون بشدة هذا الأسلوب وهذا التصرّف لأنّ المؤمن صاحب تفكير نزيه وليّن وصاحب تفكير سليم، وهو خليفة الله في الأرض. وقد ذكر لنا القرآن الكريم سيدنا موسى عليه السلام مثالا على العفة وبُعد النظر، يقول تعالى:

"**وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**" (القصص، 23-24).

سيدنا موسى عليه السلام كان إنسانا ذكيّا إذ فهم أنّ الفتاتين في حاجة إلى مساعدة فأسرع إلى مساعدتهما، والمؤمن الصالح من يتخذ صفات سيدنا موسى التي مدحه الله بها نموذجا، ويسير على طريقه في حياته كلها، فيسارع إلى مساعدة المحتاجين ويمدّ يد

إكرام الضيف

لاستقبال الضيف آداب خاصة، و قد ضرب لنا القرآن الكريم مثالا يحتذى به ألا وهو سيدنا إبراهيم الخليل فقد مدح الله تعالى حرصه الشديد على إكرام الضيف فيقول تعالى:

"هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ" (الذاريات 24-27)

إنّ المؤمنين الذين يتخذون سيدنا إبراهيم مثالا يستقبلون الضيف بكلّ حرارة، ويقابلونه بوجه بشوش واحترام ومحبّة، ثمّ يعمل على تلبية حاجيات الضيف دون أن يشعره بذلك، ويحرص على إرضائه، كما يحرص على إكرامه بما تيسر من المأكولات والمشروبات عملا بمقتضيات الأخلاق القرآنية.

بعض الناس في المجتمع الجاهلي لا يقبلون الضيف حتى و إن كان من الأقارب، وإذا أجبروا على استقبال الضيف يقومون بواجب الضيافة على مضض ودون رغبة حقيقية فقط لأنها واجب اجتماعي .

إضافة إلى ذلك فإنهم يتصرّفون مع الضيف حسب مكانته

تفسد العلاقات الاجتماعية وتتحول حياة المجتمع إلى حياة الغاب.

الرياء والكبرياء والنفاق خصائص تعوق تكوين صداقات متينة، والثرثرة وكثرة الكلام وجرح الآخرين يوتر العلاقات بين الناس. وهذا السلوك الذي لا يحبه الله تعالى لا أحد يتمنّى أن يتعرض له.

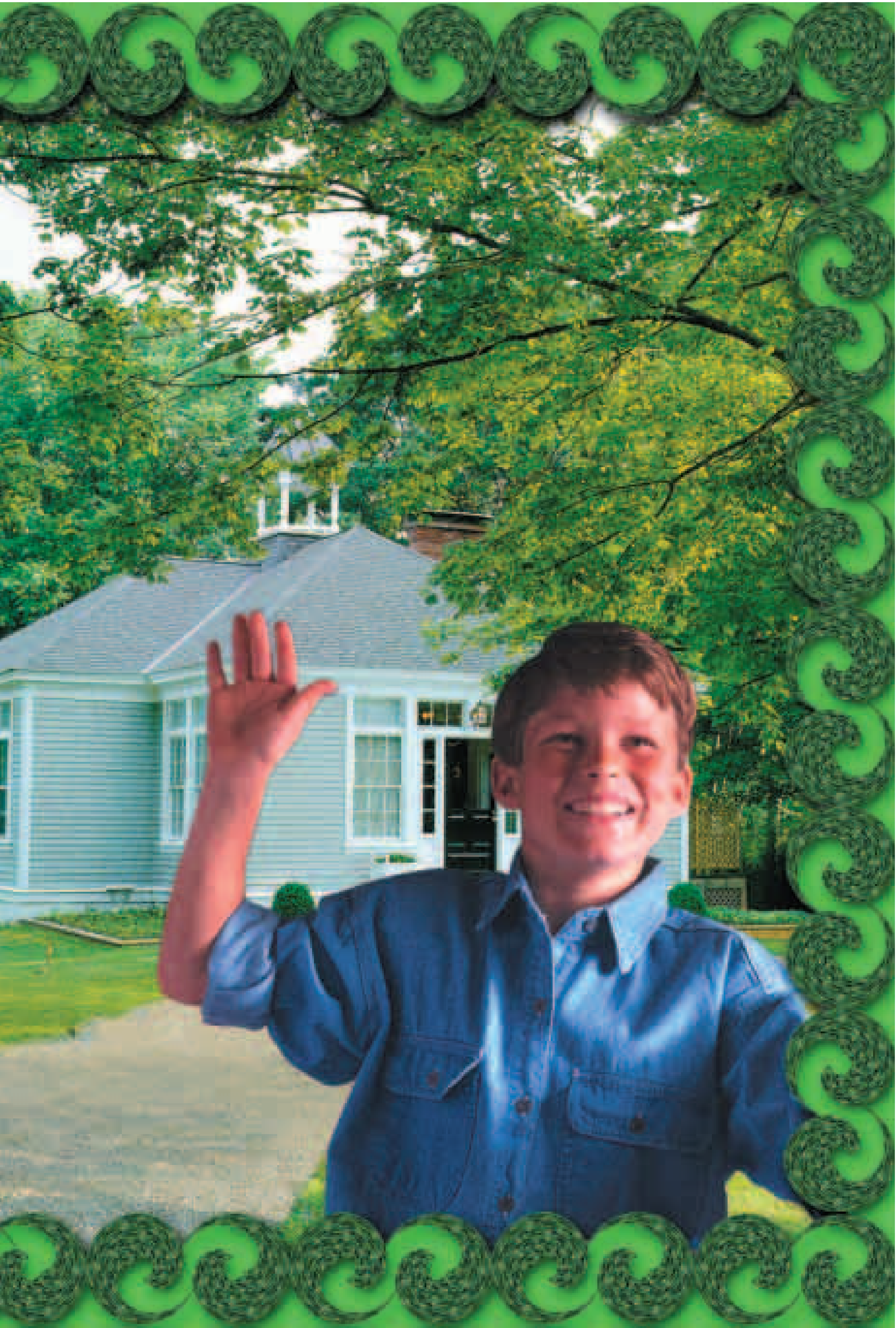




الاجتماعية، فإن كان الضيف من الفقراء قدّموا له ما تيسر من الطعام، أمّا إذا كان الضيف غنيا أو صاحب نفوذ فيقدّمون له ما طاب و لذّ من الأطعمة والمشروبات ويحرصون على كسب رضاه.

إنّ صاحب البيت إذا ما أظهر تذمرا من استقبال الضيف، فإن ذلك يزعج الضيف لامحالة، وتصبح الزيارة مملّة للضيف وبالتالي يصبح الوضع العام للضيف والمضيّف مملاً وينتظر كل طرف انتهاء الضيافة بفارغ الصبر. فالضيف يندم على قدومه ويحزن المضيف على ما قدمه للضيف من المأكولات والمشروبات.

خلاصة القول أنّ الحوار الممتع بين الناس وتبادل الضيافة بينهم يساهم في التضامن والوحدة الاجتماعية، وكلّ ذلك لن يتمّ إلاّ بالالتزام بالأخلاق القرآنية.





تجنب الغضب والجدال

النقاش بين الناس هو السبب الحقيقي للتصادم والخصام والتفرقة بين الناس، نقاش بسيط بين صديقين حميمين يمكن أن يكبر فيحلّ الغضب محلّ مشاعر الحبّ والتفاهم، و قد حذرنا الله تعالي في سورة الكهف الآية 54 من التحلّي بهذه الأخلاق السيئة ونبهنا إلى طبيعة الإنسان بقوله: "...**وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً** "، لذلك حرّم الله كلّ سلوك من شأنه إضعاف روح المحبة والأخوة والتكافل بين المؤمنين، يقول تعالى:

"**وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**..."

(الأنفال، 46).

النزاع كما تؤكد الآية يقوّض قوّة المؤمنين ولا يكون حلاًّ لأيّ خلاف، ولا تنتظر منه فائدة ولا يعدو أن يكون سقوطا في شباك الشيطان فيدفع الناس إلى التخاصم والتصادم، لذلك فإنّ الإنسان الذي يتخذ من القرآن منهجا

تبادل التحية و الإحترام

كلّما تقابل المؤمنون خلال اليوم قدموا لبعضهم البعض أزكى التحية وأطيب السلام، بمعنى أنّهم يتبادلون السّلام تطبيقا لأمر الله تعالى في قوله:

"...فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"

(النور، 61).

إذا ما خرج المؤمن من بيته تبادل التحية والسّلام مع جيرانه وتمنّى لهم يوما مباركا مليئا بخير الأعمال، وكذلك يفعل نفس الشيء مع الذين يقابلهم في الطريق، ومع أصدقائه في العمل وغيرهم من النّاس، فيكون المؤمن قد طبق واجبا اجتماعيا مهمّا حثّ عليه القرآن الكريم.

التحية والسلام بين أناس لا يعرفون بعضهم البعض تساهم في تقوية العلاقات الاجتماعية في المجتمع الواحد فيقترب الناس من بعضهم البعض ويحصل بينهم وئام ومودة حتّى وإن لم يعرفوا بعضهم البعض.

أمّا التحيّة والسلام في المجتمع الجاهلي فهي لا تعدو أن تكون تطبيقا للعرف والعادة. ويتبادل بعض الناس السلام فقط لعلاقة حتمية تربطهم ببعضهم البعض أو طمعا في تحقيق منفعة. وبعض الناس لا يردّون السلام استعلاء وتكبّرا، وهذا طبيعي لأنّ الأخلاق العامّة الجاهلية لا تنكر مثل ذلك التصرّف.

اتباع أسلوب ليّن متعقّل لحلّ المشكلة إذا ما تعرّض لمظلمة، وعوضا من استعمال العنف لحلّ المشاكل يتبع المؤمن أوامر الله تعالى في سورة آل عمران:

"الَّذينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ" (آل عمران، 134).

إنّ الإنسان الملتزم بالأخلاق القرآنية لا يغيّر أخلاقه مهما كانت الظروف والمواقف، فلا يستهزء بأحد ولا ينطق بقبيح الألفاظ، ويكضم الغيظ ولا يتصرف بعدوانية لأنّ المؤمن لا يفارق تواضعه ومرحمته ولا يردّ الإساءة بالإساءة، وهو يلتزم الهدوء والرصانة تجاه الآخرين.

المؤمنون يعتقدون بأن الله يمتحنهم في كلّ شيء، لذلك يختارون الكلمة الطيبة عوض الخصام ويتحلّون بالصّبر والتأني لأنهم يعلمون أنّ هذا السلوك يرضى الله تعالى ويعطيهم الأمل في الفوز برضاه.

لا يتورط بأيّ شكل من الأشكال في مثل هذه النزاعات، وإن دخل في نزاع مع أحدهم في غفلة من نفسه ثم انتبه تذكّر أحكام الله وأدرك خطأ تصرّفاته عليه أن يترك فورا ذلك السلوك.

يقابل المؤمنون خلال اليوم أصنافا كثيرة من الناس تختلف خصائصهم، ومهما كانت الأسباب فإنّهم يتجنبون الدخول في نقاش معهم، كأن يتجنب الجدال مع الباعة حول أسعار السلع المعروضة، أو إضهار التأفف عند انتظار الحافلة، أو الصياح في وجه العمّال لأنّهم يعملون ببطء، كما يحاول المؤمن



لكن الإنسان الحسود يغفل عن حقيقة مهمّة ذكّره الله بها في كتابه الكريم بقوله تعالى:

"أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ..." (النساء، 54).

الله مالك كلّ شيء، ويرزق من يشاء بغير حساب، ولا يستطيع الإنسان التحكّم في رزقه، فجماله وماله وما يملك هبة من عند الله تعالى، والمؤمن يعي جيّدا هذه الحقيقة لذلك يربّي نفسه على القناعة ويتجنب الغيرة والحسد مهما حرم من شهوات الدنيا. وكلّما رأى من هو أكثر منه غنى وجمالا تذكر أنّ ذلك عطاء من عند الله يرزق به من يشاءِ من عباده اختبارا لهم وامتحانا للإنسان، والآخرة خير وأبقي، فيزداد المؤمن تقوى وورعا، وعلى ذلك الأساس يختار سلوكه.

إنّ المؤمن لا يحس بالغيرة إذا ما شارك غيره تلك الخيرات كأن يُهديهم ممّا رزقه الله أو يستعمل شيئا يحبّه مع غيره، وبالتالي يكون قد طبّق أمر الله في قوله تعالى:

"لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ" (آل عمران، 92).

خلاصة القول أنّ المؤمن يعي أنّ حياة الإنسان قصيرة جدّا ولا يمكنه بأي حال من الأحوال التمتّع بكلّ خيرات الدنيا، لذلك يتجنب السلوك السيء مثل الحسد والغيرة.



تجنب الغيرة

الغيرة صفة سلبية في النفس البشرية، وهي صفة حذرنا الله تعالى منها في كتابه الكريم فيقول"

...وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحُّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَـإِنَّ اللهَ كَـانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا" (النساء،128).

يحس بعض الناس بالغيرة إذا ما رأوا أحدا يفوقهم في الشهرة والمال، مثلا قد يحس بعض الناس بالغيرة من جمال الآخرين ويغار البعض الآخر إذا كان غيرهم أغنياء أو ناجحين أو أصحاب علم ومعرفة، أو كانوا مجتهدين أو كانوا أصحاب منازل فاخرة. كما يغار من صاحب الشهرة والموقع الرفيع.



يتحدث إلا عن الجوانب الايجابية في ذلك الشخص. والمؤمن لا يقيم شخصا ولا يعطي وجهة نظره في شخص وهو غير متأكد من المعلومات التي يملكها حتى لا يقع في الغيبة والإفتراء. وقد أشار القرآن الكريم إلى الذين يفترون كذبا على النساء في قوله تعالى:

"لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذا إِفْكٌ مُبِينٌ" (النور، 12).

المؤمن الصادق لا يتحدث إلا بخير الحديث عن عائلته وأصدقائه والناس المحيطين به، ويحاول أن يعلم الناس الأخلاق الطيبة. لكن قد يخطأ الإنسان سهوا عندئذ عليه اللّجوء إلى الله لطلب الرحمة والمغفرة على ما ارتكبه من ذنوب في حق الآخرين.



الابتعاد عن الظن والنميمة

توجد بعض العادات التي هي في الأصل سلوك يومي في المجتمع الجاهلي، مثل إلصاق التهم الباطلة ببعض الناس والتجسس على الآخرين، بمعنى السعي سرا إلى جمع معلومات لا أهمية لها عن الآخرين، والغيبة والنميمة، أي التحدث سلبا عن الآخرين دون وجه حق. هذه الصفات مرتبطة ببعضها البعض لأن الغيبة مصدرها الظنون الباطلة، والساعي يالتجسس أيضا يعتمد على مجموعة من الظنون للقيام بعمله.

لقد حث القرآن الكريم المؤمنين على تجنب هذا السلوك الخبيث، يقول تعالى:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ"

(الحجرات، 12)

تبين الآية أن المؤمن يفكّر بعقلانية ورصانة، وهو يتجنب مثل هذا السلوك، ولا يسعى إلى جمع معلومات حول الأشخاص بنية إلحاق الأذي بهم. فالمؤمن لا ينطق بالكذب و لا يتلفظ بكلمات تجرح شعور الآخرين، كما أنه لا يتبع الظن في تعامله مع الآخرين. ويجيب بالنفي إذا جهل معلومات تخص شخصا ما، ولا

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" (الحجرات، 11).

و يقول أيضا:

"وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ" (الهمزة، 1).

هكذا حذر الله المؤمنين من أنّ اتّباع سلوك السخرية، إذ أن عاقبته عذاب أليم في الآخرة. والقرآن الكريم يحرم التنابز بالألقاب الألقاب، والمؤمن يعلم أن الله وحده يهب الإنسان الجمال والذكاء والغنى والقدرة وما إلى ذلك من الصفات، لذلك على المؤمن أن يقابل ذلك بكلّ فرح وغبطة ليس إرضاء لنفسه بل إرضاء لله تعالى، فيتغلب على النفس الأمارة بالسوء، ولا يسمح للحسد والغيرة الدخول إلى عقله وقلبه. لذلك على المؤمن أن يكون بشوشا، إيجابيا، رؤوفا تجاه أخيه المؤمن.

إن العيوب التي يراها المؤمن في أخيه المؤمن هي اختبار من الله تعالى، لذلك وجب عليه أن يسترها وأن لا يكشفها أمام الملإ من الناس، بل بالعكس يحاول إصلاحها بأسلوب لين غير جارح للشعور.

إنّ أهمّ معانى السخرية تكمن في النظرة الخبيثة والكلمة السيئة التي يجب الحذر منهما بشدّة.



تجنب السخرية

الناس الذين لا يلتزمون بالأخلاق القرآنية يقضون قسما هامّا من يومهم في السخرية والتهكم على الآخرين. والمجتمع الجاهلي يتخذ من نقائص الإنسان وأخطائه وعيوبه الجسدية وملابسه وفقره وقلّة فطنته، وكلّ تصرفاته وطريقة كلامه، وباختصار كلّ شيء يتخذه موضوع سخرية واستهزاء. وتكون السخرية بالكلام أو بالحركات أو بتبادل النظرات. والمستهزء لا يعبأ بشعور من يَستهزأ به، ولا يولي اهتماما لنفسيته لأنّ هدفه إرضاء غروره و نزواته. (لمزيد من التفصيل أنظر كتاب هارون يحيى: ظلم السّخرية).

لقد حرم الله في كتابه الكريم السخرية وتبادل السّباب بين المؤمنين، يقول تعالى:

وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا " (النساء،37).

لقد دعا القرآن إلى قمع الأنانية والبخل وكلّ الطباع السيئة في النفس البشرية، وفي هذا الخصوص يقول تعالى:

"**فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**" (التغابن، 16).

إذن و لأجل كل ذلك يسعى المؤمن الملتزم بالأخلاق القرآنية إلى تقاسم الأشياء التي يملكها مع غيره من المسلمين محاولا قمع الأنانية والبخل في نفسه. مثالنا على ذلك تقاسم طعام الغداء مع شخص آخر ممّا يبعث فيه الفرح والطمأنينة، أو أن يقدّم بكلّ راحة ضمير شيئا أحبّه كثيرا لأنّ غيره أشد حاجة منه لذلك الشيء:

"..**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ العَفْوَ**..." (البقرة، 219).

والمؤمن يطمع بخير الجزاء في الآخرة.

لقد أخبرنا القرآن الكريم بسلوك المسلمين في عهد الرسول-صلي الله عليه و سلم- فقال تعالى:

" **وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ من قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**"

(الحشر، 9).

إنّ التضحية التي يقدمها المؤمن لإسعاد الآخر تبعث فيه سعادة كبيرة وتحسسه براحة الضمير وطمأنينة النفس، وهم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فيتنازلون عن حقهم للآخرين دون تردد كما أن المؤمن لا يتباهى بما يقدمه من تضحيات، ولا يريد جزاء ولا شكورا ولا مديحا من أحد، ولا يسعى أبدا إلى تحسيس الآخر بالمنّة والإحسان.



التضحية

الإنسان الذي يعتقد بأن الحياة هي الحياة الدنيا فقط يتجنب التضحية ولا يمد يد المساعدة إلى غيره من البشر فهو لا يعتقد بأن عمل الخير الذي يعمله في الدنيا سوف يكون له جزاء في يوم من الأيام لأنه لا يؤمن بالآخرة.

لقد أنكر الله هذا التفكير الخاطئ مشيرا إليه في بعض آياته.

قال تعالى:

"إِنّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا" (المعارج، 19).

و قال عز و جل:

"أَفَرَأَيْتَ الَّذي تَوَلّى وَأَعْطَى قَليلاً وَأَكْدَى" (النجم، 33-34).

وقال أيضا:

"الَّذينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمْ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ



فإن المؤمن خلال نشاطه اليومي لا يغفل عن الظلم ويسعى إلى إعطاء كلّ ذي حق حقّه.

ولنظرب مثالا على ذلك: المؤمن لا يأخذ مكان غيره في الطابور الذي ينتظر الحافلة، والمؤمن لا يسمح لأحد بفعل ذلك السلوك، ولكن باعتماد الأخلاق الحسنة والأدب ودون بث الفوضى، والمؤمن يمنح الناجحين ما يستحقونه من شكر وجوائز ولا يدافع عن أصدائه دون موجب حق، كما أنه لا يصمت عن الظلم كأن يخفي مظلمة قام بها صديقه تسببت في ضرر للآخرين

العدل

لا يحيد المؤمن أبدا عن طريق العدل، ولا يترك مظلمة بل يدافع عن المظلومين في إطار الأخلاق القرآنية، فهو يسعى دائما إلى تطبيق العدالة الإلهية التي أقرّها الله في سورة النساء:

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً"

(النساء، 135).

يسخّر المؤمن كلّ الإمكانيات لتحقيق العدالة ولا يسمح بأي سلوك مخالف. والمؤمن يعلم جيّدا أنّ الله سيحاسبه يوم القيامة عمّا قام به لتحقيق العدل ودفع الظلم عن الآخرين. والمؤمن لا يفعل مثل معظم الناس "لم أر ولم اسمع أو لم أنتبه"، وغيرها من الأجوبة للهروب من المسؤولية. وهو لا ينسى أنّ الثواب والعقاب له وحده ولن يشاركه أحد فيه، لذلك فهو لا يبقى سلبيا، لامباليا أمام الحق و العدل ولو كلّفه ذلك ما كلفه ، حتّى لو كان المتضرر أمه أو أباه أو أحد أقاربه أو غنيّا لا يعرفه أو فقيرا، فالكلّ متساو أمام العدالة. لذلك



القرآنية لأن الإنسان يكسب العزة و الشرف بتلك الأخلاق وبها ينأى بنفسه عن السلوك الجاهلي والصفات السلبية والخوف والاعتقادات الزائفة. وهذه الأخلاق تنقذه من عذاب جهنّم وتكسبه السمعة الطيبة والذكر الحسن بين الناس. والأهم من ذلك كلّه نعم لا تحصى وحياة أبدية في الجنة.

إنّ الحياة الدنيا بما فيها من صعوبات؛ حروب وخصومات وخلافات وفقر وغضب وما شابه ذلك لا تزيلها سوى الأخلاق القرآنية، فلا يوجد طريق غيره يحقق للإنسان السعادة والطمأنينة والرفاه والعدالة والمحبة والسلام. و



الخاتمة

رأينا في هذا الكتاب كيف يتخذ المؤمن الأخلاق القرآنية مبدأ في حياته اليومية. ومهما كانت الظروف والأماكن فالمؤمن لا يتخلّى عن أخلاقه هذه، فهو دائما يسعى إلى تطبيق أوامر الله وتعاليم القرآن.

هكذا مدح الله الرسول-صلي الله عليه و سلم- و أمرنا باتخاذه قدوة فقال تعالى:

"وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" (القلم، 4).

الطريق الوحيد للنجاة من عذاب الدنيا والآخرة هو الالتزام بالأخلاق


"الّذينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلاَ يَنْقُضُونَ المِيثاقَ وَالّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ
أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ وَالّذِينَ صَبَرُوا ابْتَغَاءَ
وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَأُونَ
بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ" (الرعد، 20-22)

الأخلاق القرآنية تحل بشكل جذري مشكلة الظلم والنزاع والإسراف والتعصب والعنف والفساد الأخلاقي، وتحقق للإنسان الحياة السعيدة المنشودة.

رغم هذه الحقيقة الجليّة فإنّ الإنسان يولي وجهه عنها ويسلك طريق النفس الأمارة بالسوء، وينساق إلى إغراءات الحياة الدنيا ولا يضرّ بذلك إلاّ نفسه لأنّ الإنسان الذي يعرض عن القرآن يعرض في الحقيقة عن المعنى الحقيقي للحياة، لكنه لن ينال من الحياة الدنيا إلاّ من مزيدا من الضغوط النفسية والخوف والأوهام وقلّة الحيلة على مجابهة ظروف الحياة. كلّ ذلك عذاب من الله تعالى لابتعاده عن الدين، وسيفني حياته في شيء يظن أنّه "حقيقة الحياة".

أمّا الأخلاق السامية فهي التي عرّفها القرآن الكريم والتي باتباعها يحقق المؤمن سعادة الدنيا والآخرة. لقد بشر الله المؤمنين الصادقين في قوله تعالى:

"وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ"

(سبأ، 37)

ويقول تعالى:

"إِنّ الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ" (البقرة، 277) .

ويقول أيضا:

أقدامها، غير أن هذه الحملة لم تتمكن من إخفاء الحقيقة.

لقد تعالت الأصوات خلال الثلاثين سنة الماضية في دنيا العلم تبيّن بأن نظرية التطور تمثل أكبر خديعة في تاريخ العلم. وقد أثبتت الأبحاث التي أجريت بشكل خاص اعتبارًا من عام ١٩٨٠ بأنّ الإدعاءات الدّاروينية عارية تماما من الصّحة، وقد تم التصريح بذلك من قبل العديد من كبار رجال العلم. ففي الولايات المتحدة بشكل خاص، صرح الكثير من علماء البيولوجيا والكيمياء الحيوية وعلم الحفريات وغيرها من العلوم الأخرى بأن الداروينية وصلت إلى طريق مسدود وأنّ أصل الكائنات الحية هو الخلق. واليوم تؤكد التطوّرات العلمية بأن الكون وجميع الكائنات الحية قد خُلقت من قبل الله تعالى.

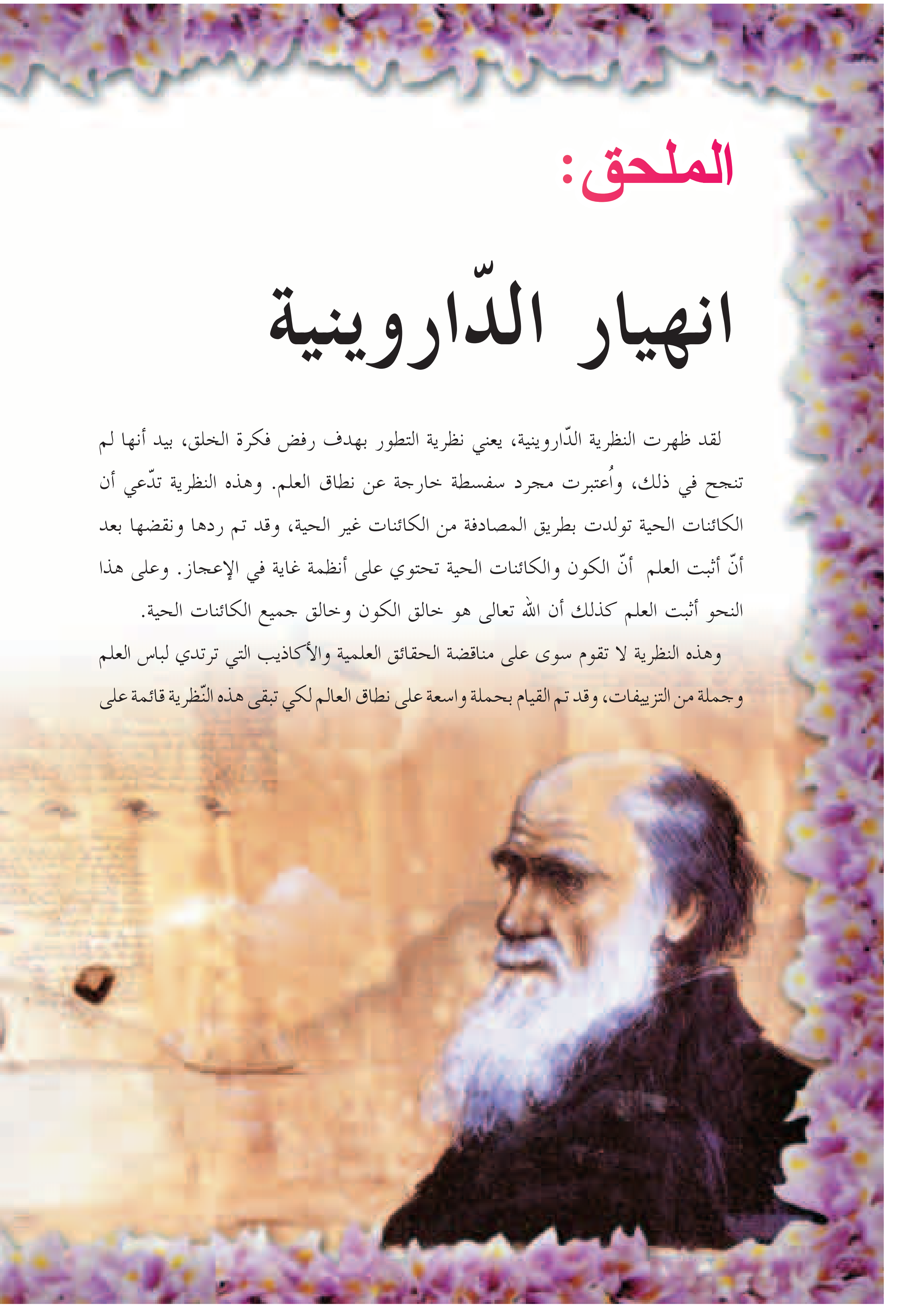
لقد تناولنا مسألة انهيار نظرية التطور ودلائل الخلق في مواضع كثيرة من أعمالنا، وسوف نُواصل ذلك في أعمال أخرى. ولكن بالنظر إلى الأهمية البالغة التي يكتسيها هذا الموضوع رأينا أنه من الفائدة إيراد ملخص لذلك في هذا الموضع أيضا.

الانهيار العلمي للنظرية الداروينية

بالرغم من أن هذه النظرية تعود في جذورها إلى التاريخ الإغريقي القديم، إلا أنها شهدت أوسع انتشار لها في القرن التاسع عشر . كان أهم تطور شهدته النظرية هو صدور كتاب تشارلز داروين "أصل الأنواع" الذي صدر عام ١٨٥٩. في هذا الكتاب ينكر داروين أن الأنواع المختلفة على الأرض قد خلقها الله. يقول داروين أن جميع الكائنات الحية لها جد مشترك وأنها قد تنوعت واختلفت بسبب اختلافات طارئة متدرجة أتت عليها عبر الأزمان.

وكما يقر داروين نفسه، فإن نظريته لا تقوم على أي حقيقة علمية ثابتة، بل إنها مجرد "إفتراض". علاوة على ذلك، يعترف داروين في فصل مطول من كتاب بعنوان "المصاعب التي تواجهها النظرية" أن النظرية تتهاوى أمام العديد من الأسئلة الحرجة.

عقد داروين آماله على الاكتشافات العلمية التي كان يظن أنها ستزيل العقبات التي تواجهها نظريته، إلا أن ما أثبتته هذه الاكتشافات جاء عكس ما تمناه الرجل.



الملحق:

انهيار الدّاروينية

لقد ظهرت النظرية الدّاروينية، يعني نظرية التطور بهدف رفض فكرة الخلق، بيد أنها لم تنجح في ذلك، واُعتبرت مجرد سفسطة خارجة عن نطاق العلم. وهذه النظرية تدّعي أن الكائنات الحية تولدت بطريق المصادفة من الكائنات غير الحية، وقد تم ردها ونقضها بعد أنّ أثبت العلم أنّ الكون والكائنات الحية تحتوي على أنظمة غاية في الإعجاز. وعلى هذا النحو أثبت العلم كذلك أن الله تعالى هو خالق الكون وخالق جميع الكائنات الحية.

وهذه النظرية لا تقوم سوى على مناقضة الحقائق العلمية والأكاذيب التي ترتدي لباس العلم وجملة من التزييفات، وقد تم القيام بحملة واسعة على نطاق العالم لكي تبقى هذه النّظرية قائمة على

من تلقاء نفسها لتشكل كائن حي، رواجاً واسعاً في ذلك الزمن. من الاعتقادات التي نتجت عن هذه النتيجة هي أن الحشرات تنشأ عن بقايا الطعام، وأن الجرذان تأتي من القمح. هنا يجدر بنا أن نتعرض لتجربة مضحكة قام بها البعض، حيث تم وضع بعض القمح على قطعة وسخة من القماش، وكان المنتظر أن يخرج جرذاً بعد برهة من الزمن.

ومن المنطلق ذاته كان يعتقد أن الديدان تخرج من اللحم؛ إلا أنه لم يلبث العلم أن أثبت أن الديدان لا تخرج من اللحم بشكل تلقائي، وإنما يحملها الذباب بشكل يرقانات لا ترى بالعين المجردة.

كان هذا الاعتقاد سائداً في الزمن الذي كتب فيه داروين كتاب "أصل الأنواع" ، فقد كان يعتقد بأن البكتريا جاءت إلى الوجود من مادة غير حية وكان هذا الاعتقاد مقبوا علمياً.

لم يطل الوقت حتى أعلن باستور نتائج دراساته الطويلة وأبحاثه الكثيرة التي تدحض أساس نظرية داروين. قال باستور في محاضرته التي أعلن فيها عن انتصاراته في السوربون عام ١٨٦٤:

"لا يمكن أن تستفيق نظرية النشوء التلقائي من الضربة الصاعقة التي أصابتها بها هذه التجربة البسيطة."[١]

قاوم المدافعون عن النظرية الداروينية اكتشافات باستور لوقت طويل. إلا أن ماجاء به باستور بالإضافة إلى ما كشف عنه التقدم العلمي من البنية المعقدة لخلية المادة الحية، أبقيا فكرة وجود الحياة على سطح الأرض عن طريق الصدفة في مأزق لم تستطع الخروج منه.

المحاولات العاجزة في القرن العشرين

إن أول من تبنى موضوع منشأ الحياة في القرن العشرين كان التطوري المشهور ألكسندر أوبارين. تقدم هذا العالم بالعديد من الآراء العلمية في الثلاثينيات من ذلك القرن، حاول من خلالها إثبات إمكانية تطور خلية الكائن الحي عن طريق الصدفة. إلا أن دراساته لم تنته إلا بالفشل، مما حدا بأوبرين تقديم الاعتراف التالي: " للأسف، بقيت مشكلة منشأ الخلية

وتظهر هزيمة داروين أمام العلم الحديث من خلال ثلاث نقاط رئيسية:

١ لم تتمكن هذه النظرية بأي وسيلة من الوسائل أن تفسر كيف نشأت الحياة على وجه الأرض.

٢ لا يوجد أي اكتشاف علمي يدل على قدرة "التقنيات التطورية" التي تفترضها النظرية على التطور في أي حال من الأحوال.

٣ مايثبته السجل الإحاثي هو عكس الادعاءات التي تقوم عليها نظرية التطور.

سنناقش في هذا الفصل هذه النقاط الثلاث الرئيسية:

العقبة الأولى التي لم تذلل: أصل الحياة

تقول نظرية التطور أن جميع الكائنات الحية قد تطورت عن خلية وحيدة ظهرت على سطح الأرض البدائية منذ ٣,٨ ملايين سنة. ولكن كيف يمكن لخلية وحيدة أن ينشأ عنها الملايين من الأنظمة والأنواع الحية؟ وإذا كان هذا التطور قد حدث فعلاً فلماذا لم تظهر علائمه في السجلات الإحاثية ، هذا سؤال لم تتمكن النظرية الإجابة عليه. إلا أن السؤال الأول الذي بقي يواجه هذه النظرية، التي لم تجد جوابا عليه حتى الآن، هو كيف نشأت "الخلية الأولى".

تفسر نظرية التطور، التي لا تعترف بالخلق ولا تقبل بوجود خالق، نشوء الخلية الأولى على أنها أتت عن طريق الصدفة التي تتضمنها قوانين الطبيعة. حسب هذه النظرية تكون المادة الحية قد نشأت من مادة غير حية نتيجة للعديد من المصادفات، ومن المؤكد أن هذا الزعم لا يتوافق مع أبسط قواعد علم الأحياء.

الحياة تنشأ من الحياة

في هذا الكتاب، لم يتطرق داروين إلى أصل الحياة. فقد كان الفهم البدائي لحقيقة الحياة في عصره يعتمد على الإفتراض بأن الكائنات الحية ذات بنيات بسيطة جداً. لقد لاقت نظرية النشوء التلقائي التي انتشرت في القرون الوسطى، والتي تقول أن المواد غير الحية تجمعت

"ها نحن اليوم نغادر القرن العشرين دون أن نتمكن من حل المشكلة التي بدأنا القرن معها وهي : كيف بدأت الحياة على الأرض؟" [٥]

البنية المعقدة للحياة

السبب الرئيسي الذي أوقع نظرية التطور في مأزق "كيف بدأت الحياة" هو أن الكائنات الحية، حتى البسيطة منها، تنطوي على بنيات في غاية التعقيد. فالخلية الواحدة من الكائن الحي أكثر تعقيداً من أي منتج تقني صنعته يد البشر. فحتى يومنا هذا لا يمكن لأي مختبر كيميائي مهما بلغت درجة تطوره أن ينجح في تركيب خلية حية من خلال تجميع عدد من المواد العضوية مع بعضها.

إن الظروف المطلوب توفرها لتركيب خلية حية هي أكثر بكثير من أن تُعرض. فإمكانية تركيب أحد البروتينات التي تعتبر حجر الأساس في الخلية بشكل عشوائي هي ١ إلى $١٠^{٩٥٠}$ وهذا بالنسبة لبروتين مكون من ٥٠٠ حمض أميني؛ وفي الرياضيات يعتبر أي احتمال أصغر من $١٠^{٥٠}$ مستحيلاً!

إن جزيء الــ DNA الذي يتواجد في نواة الخلية والذي يخزن المعلومات الوراثية، هو في حد ذاته بنك معلومات معجز. فلو أن المعلومات المشفرة في جزيء DNA قد أفرغت كتابة فإنها ستشغل مكتبة عملاقة مكونة من ٩٠٠ مجلداً من الموسوعات كلا منها يتألف من ٥٠٠ صفحة.

وهنا تنشا مشكلة أخرى مثيرة: فجزيء الــ DNA لا يمكنه أن يتضاعف إلا بمساعدة بعض البروتينات المختصة (الأنزيمات)، وهذه الأنزيمات لا يمكن أن تتشكل بدورها إلا من خلال المعلومات المشفرة في جزيء الــ DNA. وبما أن كل منهما يعتمد على الآخر ، فمن الضروري أن يتواجدا في الوقت نفسه عند عملية التضاعف.وهذا يأتي بالنظرية القائلة أن الحياة قد نشأت من تلقاء نفسها إلى طريق مسدود. وقد اعترف البروفسور ليسلي أورجيل ، وهو تطوري مشهور من جامعة سانت ياغو كاليفورنيا بهذه الحقيقة من خلال موضوع نشر في مجلة العلوم الأمريكية عام ١٩٩٤:



الأولى أكثر النقاط غموضاً في دراسة تطور الأنظمة الحية".[٢]

حمل التطوريون بعد أوبرين مسؤولية حل مشكلة منشأ الحياة. وكان أكثر هذه التجارب شهرة تلك التي قام بها الكيميائي الأمريكي ستانلي ميللر عام ١٩٥٣. قام هذا العالم بدمج عدد من الغازات التي يفترض أنها كانت موجودة في المناخ البدائي للأرض، وأضاف إليها مقدار من الطاقة. من خلال هذه التجربة تمكن ميللر من تركيب عدد من الحموض الأمينية (الجزيئات العضوية) التي تتواجد في تركيب البروتينات.

إلا أنه لم تمض عدة سنوات حتى ثبت بطلان هذه النظرية، التي كانت تعتبر خطوة رائدة في تقدم نظرية التطور، فالمناخ الذي استخدم في هذه التجربة كان مختلفاً جداً عن الظروف الأرضية الحقيقية.[٣]

وبعد فترة من الصمت اعترف ميللر أن المناخ الذي استخدمه في تجربته كان غير حقيقياً.[٤]

لقد باءت جميع محاولات التطوريين في إثبات نظريتهم في القرن العشرين بالفشل. يعترف العالم الجيولوجي بادا من معهد سكريبس في سانت ياغو بهذه الحقيقة في مقالة نشرتها مجلة "الأرض" عام ١٩٩٨:

تأثير لامارك

ولكن كيف تحدث هذه "التغيرات الإيجابية"؟ حاول داروين الإجابة على هذا السؤال من خلال الفهم البدائي للعلوم في ذلك الوقت. فحسب نظرية لامارك الذي عاش قبل داروين، فإن الكائنات الحية تورث صفاتها التي اكتسبتها خلال حياتها إلى الأجيال التالية ، وهذه الصفات تتراكم من جيل إلى آخر لتشكل أنواع جديدة من الكائنات الحية. فحسب لامارك، الزرافات هي كائنات تطورت عن الظباء عندما كانت تجاهد من أجل الوصول إلى الثمار التي تحملها الأشجار العالية، فطالت رقبتها من جيل إلى آخر حتى استقرت على هذا الطول.

وباقتفاء أثره، أورد داروين مثالاً مماثلاً في كتابه فقال أن الدبب غطست في الماء أثناء بحثها عن الطعام فتحولت إلى حيتان على مر الأجيال".[٨]

إلا أنه ما لبثت أن ظهرت قوانين الوراثة على يد العالم ماندل في القرن العشرين، مما أحبط أسطورة امتداد الصفات عبر الأجيال. وهكذا سقط الاصطفاء الطبيعي كدعامة من دعامات نظرية التطور.

الداروينية الجديدة والطفرات

ومن أجل الوصول إلى حل، قام الداروينيون بتطوير "نظرية تركيبية جديدة" أو ما يدعى بـــ "الداروينية الجديدة" في نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين. أضافت الداروينية الجديدة نظرية "الطفرات"وهي تشوهات جينية تطرأ على الكائن الحي وتحدث بفعل تأثيرات خارجية مثل التعرض إلى الإشعاعات وأخطاء في تضاعف الـــ DNA، بالإضافة إلى الطفرات الطبيعية.

و النموذج الذي يقف مدافعاً اليوم عن نظرية التطور هو الداروينية الجديدة.تقول هذه النظرية الجديدة ـــأن الملايين من الأحياء المتواجدة على سطح الأرض قد جاءت نتيجة لطفرات طرأت على الأعضاء المعقدة لهذه الكائنات مثل الآذان والعيون والرئات والأجنحة، أي إضطرابات وراثية. إلا أن الحقيقة العلمية تأتي في عكس الاتجاه المطلوب.

"من المستحيل أن تكون البروتينات والحموض الآمينية، وكلاهما جزيئات معقدة، قد نشأت من تلقاء نفسها في نفس الوقت وفي نفس المكان. أضف إلى عدم إمكانية تواجد أحدهما دون الآخر . وهكذا ومن النظرة الأولى يجد أحدنا أنه من المستحيل أن تكون الحياة قد نشأت من خلال عمليات كيميائية بحتة"[٦]

لا شك أنه إذا كان من المستحيل أن تنشأ الحياة من أسباب طبيعية، فلا بد أنها قد "خلقت" بيد خالق. هذه الحقيقة تلغي نظرية التطور ، والتي تهدف بالدرجة الرئيسية إلى إنكار الخلق، من أساسها.

الأفكار الخيالية لنظرية التطور

النقطة الثانية التي تدحض نظرية داروين هي أن كلا المفهومين اللذين وضعتهما النظرية كـــ "تقنيات تطورية" ثبت أنها في الحقيقة لا تملك أي قوة تطورية.

لقد اعتمد داروين في خدعة التطور التي خرج بها على فكرة "الإصطفاء الطبيعي". وقد ضمن هذه الفكرة في كتابه: "أصل الأنواع ، عن طريق الاصطفاء الطبيعي..."

يقول قانون الاصطفاء الطبيعي أن الكائنات الحية التي تمتلك خصائص قوية فقط هي التي يمكن أن تبقى في معركة الحياة. على سبيل المثال، عندما تهاجم الحيوانات المتوحشة قطيعاً من الغزلان، فإن الغزلان الأقوى والتي يمكنها أن تركض بسرعة أكبر هي التي ستنجوا وتبقى على قيد الحياة. وهكذا يتشكل قطيع جديد من الأقوياء والسريعين فقط. ولكن، ولنفترض أننا سلمنا بهذا جدلاً، فهل يمكن لهؤلاء الأقوياء من قطيع الغزلان أن يتطوروا بأي شكل من الأشكال ليصبحوا خيولاً مثلاً؟ بالطبع لا.

لذلك نقول أن هذه الفكرة لا قوة تطورية لها. داروين نفسه كان قلقاً بشأن هذه الحقيقة التي وضعها في كتابه أصل الأنواع حيث قال:

"لا يمكن لقانون الاصطفاء الطبيعي أن يحقق شيئاً مالم تحدث تغييرات فردية إيجابية"[٧].

عاجزاً. (من التأثرات الشائعة للطفرة في العصر الحديث مرض السرطان). وطبيعي أن لا تكون تقنية مدمرة من تقنيات "التطور"، كما لا يمكن لــ "الاصطفاء الطبيعي " أن ينجز شيئاً بنفسه. وهذا يعني أنه لا يوجد تقنيات تطور في الطبيعة. وبانتفاء وجود هذه التقنيات تنتفي عملية التطور.

السجلات الإحاثية: لا دليل على وجود أشكال مرحلية

في الحقيقة لا يوجد أي دليل في سجل المستحاثات على أكثر الادعاءات وضوحاً في سيناريو نظرية التطور.

حسب نظرية التطور، فإن كل كائن حي قد نشأ عن كائن قبله، أي أن الكائنات السابقة قد تحولت إلى كائنات أخرى، وكل الأنواع نشأت بهذه الطريقة. وحسب النظرية، فإن هذه التحولات استغرقت ملايين السنين.

وإذا كان هذا الافتراض حقيقي ، فمن الضروري وجود عدد كبير من الأنواع المرحلية التي عاشت في فترة التحول الطويلة. على سبيل المثال لابد من وجود كائن نصفه سمكة ونصفه سلحفاة يحمل صفات السلحفاة بالإضافة إلى صفات الأسماك التي يحملها أصلاً. أو كائنات نصفها طير والنصف الآخر زواحف، أي تحمل بعض صفات الطيور بالإضافة إلى صفات الزواحف التي تحملها أصلاً. وبما أنها في الطور المرحلي، فهي كائنات عاجزة غير مؤهلة، ومعاقة؛ ويطلق التطوريون على هذه الأشكال الخيالية إسم "الأشكال التحولية"

لو كان هناك حيوانات كتلك حقاً، فيجب أن يكون هناك الملايين بل البلايين منها وبشكل متنوع. والأهم من ذلك يجب أن تحمل سجلات المستحاثات بقايا هذه الأحياء الغريبة. يقول داروين في كتابه "أصل الأنواع":

"إذا كانت نظريتي صحيحة، فلابد من وجود عدداً كبيراً من الأنواع المختلفة التي تصنف ضمن فئة واحدة، وهذا الوجود ستثبته السجلات الإحاثية". [١٠]



فالطفرات لم تكن في يوم من الأيام إيجابية تؤدي إلى تقوية وتعزيز القدرة الحيوية الكائن الحي، وإنما إلى إنهاكها وإضعافها..

والسبب وراء هذا ببساطة هو أن جزيء DNA يحمل بنية معقدة جداً وأي تغيير عشوائي فيها سيؤدي ضرراً كبيراً. يشرح عالم الجينات رانغاناتان الموضوع كالتالي:

"أولاً، الطفرات الجينية نادرة الحدوث. ثانياً الطفرات في معظمها ضارة ومهلكة في بعض الأحيان لأنها تغيرات عشوائية ، وأي تغير غير منظم، علاوة على المنظم ، في أي كائن حي راقيستنحدر به نحو الأسوء ولا ترتقي به إلى الأفضل. فالهزة الأرضية التي قد تصيب أحد الأبنية على سبيل المثال، ستتسبب في تغيير في الإطار العام لها، وهذا بالطبع ما لن يكون تحسيناً في البناء." ٩

لهذا ليس غريباً غياب أي دليل على وجود طفرة كانت السبب في تغيير الشفرة الوراثية نحو الأفضل. على العكس فجميع الطفرات كانت ناكسة . أصبح واضحاً إذاً أن الطفرة التي اعتبرت من تقنيات التطور لا تجلب على الكائن الحي إلا المزيد من الضعف وتجعله

قصة تطور الإنسان

الموضوع الذي يحاول مؤيدوا نظرية التطور الكلام به دائماً هو موضوع أصل الإنسان. يدعي الداروينيون أن الإنسان الحالي قد تطور عن نوع من أشباه القردة. وخلال هذه العملية التطورية المزعومة، التي يفترض أنها استغرقت من ٤–٥ ملايين عاماً، ظهرت "أشكال تحولية" تفصل بين الإنسان الحديث وأجداده، كما يزعمون. وحسب هذه الصورة الخيالية البحتة، صنفت هذه الأشكال في أربعة فئات:

١– أوسترالوبيثيكوس

٢– هومو هابيليس.

٣– هومو أريكتوس

٤– هومو سابينس

يطلق التطوريون على الحد الأول للإنسان " أوسترالوبيثيكوس" ويعني "قرد جنوب إفريقيا".والحقيقة هو أن هذا المخلوق ليس إلا نوعا من القرود القديمة المنقرضة. أثبتت الأبحاث الواسعة التي أجراها عالما التشريح ، اللورد سولي زوكرمان والبروفسور تشارلز أوكسنارد، من إنكلترا والولايات المتحدة، على مستحاثات أوسترالوبيثيكوس أن هذه المستحاثات تعود إلى أنواع عادية من القردة التي انقرضت والتي لا تحمل أي شبه مع الإنسان.[١٣]

والفئة الثانية التي يصنفها التطوريون هي "هومو" وتعني "الإنسان" وحسب نظرية التطور، فإن سلالة الهومو أكثر تطوراً من سلالة أوسترالوبيثيكوس. وهنا اخترع التطوريون خطة مثيرة بتركيبهم لهدة مستحاثات من هذه المخلوقات ووضعها بترتيب معين. إلا أن تلك الخطة خيالية لأنه لم يثبت وجود أي علاقة تطورية بين هذه الفئات المختلفة. يقول أحد أهم المعلقين على نظرية التطور إيرنست ماير في كتابه "من المناظرات الطويلة: " تعتبر الأحجية التاريخية التي تتكلم عن أصل الحياة أو أصل الهومو سابينس أحجية صعبة حتى أنها تتعارض مع الاكتشافات الأخيرة."[١٤]

ومن خلال السلسلة التي وضعها التطوريون فإن الفئات الأربع: أوسترالوبيثيكوس، هومو هابيليس، هومو أريكتوس، هومو سابينيس ناشئة عن بعضها البعض. إلا أن الاكتشافات الأخيرة التي ظهرت على يد علماء المستحاثات البشرية قد أثبتت أن هذه الفئات

آمال داروين تتبدد

بالرغم من جميع محاولات التطوريين الجادة في إيجاد مستحاثات تدعم تصوراتهم في وجود مخلوقات تحولية في منتصف القرن العشرين في جميع أنحاء العالم، إلا أنهم لم يجدوا أ ياً منها . لقد أثبتت جميع المستحاث التي اكتشفت أثناء الحفريات الجيولوجية عكس ما قالت به النظرية الداروينية تماماً: لقد نشأت الحياة فجأة وبتشكل تام لا وجود لأي شكل تحولي.

أقر أحد علماء التطور، العالم الإنجليزي ديريك آغر Derek Ager بهذه الحقيقة عندما قال:

النقطة هي أننا عندما قمنا بتقصي السجل الإحاثي بالتفصيل سواء على مستوى الأنواع أو الترتيب الزمني المرة تلو المرة، لم نجد تطور تدريجي أو مرحلة انتقالية، وإنما ظهور مفاجئ لمجموعة من الكائنات على حساب أخرى.[١١]

هذا يعني أن السجل الإحاثي يبرهن أن جميع الكائنات الحية قد ظهرت على الأرض بشكل مفاجئ بأشكالها التامة، ودون أي طور تحولي، وهذا عكس الإدعاء الدارويني تماماً وإثبات قوي على حقيقة الخلق. فالتفسير الوحيد لنشوء الكائنات الحية بشكل مفاجئ على سطح الأرض بشكلها الكامل ودون تطور عن أجداد سابقين، إنما يعني أن هذه الأنواع قد خلقت خلقاً. ويقر هذه الحقيقة عالم الأحياء التطوري دوغلائس فيوتويما:

"الخلق والتطور، وبينهما التفسيرات المحتملة عن أصل الكائنات الحية. فإما أن تكون الأنواع قد ظهرت على سطح الأرض بتكوينها الكامل، أو لا تكون. إذا لم يكن الأمر كذلك فهذا يعني أنها قد تطورت عن أنواع وجدت مسبقاً من خلال بعض عمليات التحول. أما إذا كانت قد ظهرت بشكلها الكامل ، فلابد أنها قد خلقت خلقاً.[١٢]

والمستحاثات تثبت أن الكائنات الحية قد نشأت بشكلها المكتمل على سطح الأرض، وهذا يعني أن "أصل الأنواع" ليس كما يدعي داروين، إنه خلق وليس تطور.

والتيليباثي (التخاطر عن بعد) – ويليها "التطور البشري". ويشرح لنا زوكر عمله هذا:

نحن هنا إذاً نتحول من الحقيقة المسجلة موضوعياً إلى تلك المجالات التي يشغلها علم الأحياء الافتراضي، مثل الإدراك الحسي المفرط، أو التفسير التاريخي للمستحاثات الإنسانية، والتي يبدو فيها كل شيء جائز بالنسبة للتطوري، حيث يكون التطوري مستعداً لتصديق العديد من الأمور المتناقضة في وقت واحد.[١٨]

لقد انحدرت قصة التطور البشري لتصل إلى مستوى التفسيرات المتحيزة لبعض المستحاثات التي استخرجها بعض الأشخاص الذين تعلقوا بهذه النظرية بشكل أعمى.

المعادلة الداروينية

إلى جانب كل ما تناولناه إلى الآن من أدلة تقنية ، نود أن نوجز ــ إن شئتم ــ وبمثال واضح بحيث يمكن حتى للأطفال أن يفهموه ، كيف أن التطوريين أولو عقيدة خرفاء فاسدة .

تزعم نظرية التطور أن الحياة تشكلت محض صدفة؛ وعليه وطبقاً لهذا الزعم فإن الذرات الجامدة وغير الواعية اجتمعت وشكلت أولاً خلية، ثم جاءت الذرات نفسها بطريقة أو بأخرى بالكائنات الحية والبشر. ولنفكر الآن: إننا حينما نجمع عناصر مثل الكربون والفسفور والأزوت والبوتاسيوم وهي المفردات الأساسية في بنية الكيان الحي، فإنه تتشكل كومة. ومهما مرت كومة الذرات هذه بأي من العمليات، فإنها لا يمكن أن تشكل كائنا حيا واحدًا. ولنجر تجربة في هذا الصدد إذا ما شئتم ، ولنتناول بالبحث والاستقصاء، باسم التطوريين وتحت عنوان "المعادلة الداروينية"، الزعم الذي ينافحون عنه في الأصل، إلا أنهم لا يستطيعون أن يجهروا به:

فليضع التطوريون كميات وفيرة من عناصر مثل الفسفور والأزوت والكربون والأوكسجين والحديد والماغنسيوم وهي العناصر التي تتشكل منها بنية الكائن الحي، داخل أعداد هائلة من البراميل العظيمة. وليضيفوا حتى إلى هذه البراميل ما يرون أنه من الضروري وجوده داخل هذا المزيج من مواد لا توجد حتى في الظروف الطبيعية. وليفعموا هذا المزيج بقدر

الأربعأوسترالوبيثيكوس ، هومو هابيليس، هومو أريكتوس، هومو سابينيس قد عاشت في بقاع مختلفة من العالم وفي زمن واحد.[١٥]

علاوة على هذا، فإن الأجزاء البشرية التي صنفت في فئة "هومو أريكتوس" لم تنقرض حتى وقت قريب جداً، أما النياندرتاليين والهوموسابينيس فقد تعايشوا في زمن واحد وفي منطقة واحدة.[١٦]

هذا الاكتشاف يدحض الادعاء بأن أحد منهم يمكن أن يكون جداً للآخر. يفسر عالم الأحياء القديمة ستيفن جاي غولد Stephen Jay Gould من جامعة هارفارد النهاية المسدودة التي وصلت إليها نظرية التطور، بالرغم من أنه عالم تطوري:

ماذا سيكون مصير فكرتنا إذا كان هناك تزامن معيشي لثلاث من فئات الهومو (الإفريقي والأوسترالوبيثيكوس القوي والهومو هابيليس) وثبت أن أحداً منهم لم ينشأ عن الآخر؟ أضف إلى أن أحدا من هؤلاء لم يثبت عليه أي تحول تطوري خلال فترة حياته على سطح الأرض.[١٧]

نقول باختصار، أن سيناريو التطور البشري الذي ينص على وجود مخلوق نصفه إنسان ونصفه قرد والذي قام على استخدام العديد من الصور الخيالية التي ظهرت في الكتب الدعائية لنظرية التطور، ليست إلا قصة لا أساس لها من الصحة العلمية.

وبالرغم من كون العالم سولي زوكرمان، الأكثر شهرة في المملكة المتحدة، عالماً تطورياً، إلا أنه اعترف في نهاية أبحاثه، التي استغرقت عدة سنوات والتي تناولت بشكل خاص مستحاثات أوسترالوبيثيكوس لمدة ١٥ عاماً، أنه لا يوجد شجرة بشرية تتفرع عن مخلوقات شبيهة بالقرود.

صنف زوكرمان العلوم ضمن طيف أسماه "طيف العلوم" يتدرج من العلوم التي يعتبرها علمية لينتهي في العلوم التي يعتبرها غير علمية. وحسب طيف زوكرمان، فإن أكثر العلوم "علمية" — أي التي تقوم على بيانات ومعلومات ملموسة– هي الفيزياء والكيمياء، تليهما العلوم البيولوجية وفي الدرجة الأخيرة العلوم الاجتماعية. وفي نهاية الطيف تأتي العلوم "غير العلمية" والتي يحتل مكانها "الإدراك الحسي المفرط" — وهي مفاهيم الحاسة السادسة

يأتوا بواحدة من الزّرافات أو الأسود أو النحل أو عصافير الكناريا أو البلابل أو الببغاوات أو الخيل أو حيتان يونس أو الورود أو زهور الأوركيد أو الزنابق أو زهور القرنفل أو الموز أو البرتقال أو التمر أو الطماطم أو الشمام أو البطيخ أو التين أو الزيتون أو العنب أو الخوخ أو الطواويس أو طيور الدُّراج أو الفراشات مختلفة الألوان وملايين من الأنواع الحية من مثل هؤلاء. بل ليس بوسعهم أن يأتوا ولو بخلية من هذه الكائنات الحية التي أحصينا عدداً منها، لا بواحدة منها كاملة الخلق.

جملة ما نبغي قوله هو أن الذرات غير الواعية ليس بوسعها أن تجتمع فتشكل خلية حية، ولا تستطيع أن تتخذ قرارًا جديدًا من بعد فتقسم الخلية نصفين، ثم تتخذ قرارات أخرى تباعًا فتأتي بكيان العلماء الذين اخترعوا المجهر الإليكتروني، ممن يراقبون بنية الخلية ذاتها فيما بعد تحت المجهر. إنّ الخلية تدب فيها الحياة فقط بالخلق المعجز لله عز وجل. أما نظرية التطور التي تزعم عكس هذا، فهي سفسطة تتنافى تماما مع العقل والمنطق. وإن إعمال الفكر ولو قليلا في المزاعم التي طرحها التطوريون، ليظهر بجلاء هذه الحقيقة مثلما في النموذج الوارد أعلاه.

التقنية الموجودة في العين والأذن:

أما الموضوع الآخر الذي لم تستطع نظرية التطور أن تأتي له بتفسير جازم، فهو جودة الإدراك الفائقة الموجودة في العين والأذن.

وقبل الولوج إلى الموضوع المتعلق بالعين، نود أن نجيب بإيجاز عن سؤال هو: كيف تبصر العين ؟

إن الأشعة المنبعثة من جسم ما، تسقط بشكل عكسي على شبكية العين، وتقوم الخلايا الموجودة هنالك بتحويل هذه الأشعة إلى إشارات كهربية، تصل إلى نقطة تسمى مركز الإبصار موجودة بالجزء الخلفي للمخ. وهذه الإشارات الكهربية، بعد مجموعة من العمليات يتم التقاطها كصورة في هذا المركز الكائن في المخ. وبعد هذه المعلومة فلنفكر:

ما يشاؤون من الأحماض الأمينية، والبروتين (احتمال تشكل الوحدة الواحدة منه تصادفياً بنسبة ١٠ قوة ٩٥٠). وليمدّوا هذا المزيج بالحرارة والرطوبة بالنسبة التي يرونها مناسبة، وليخفقوه ما شاؤوا من الأجهزة المتطورة، وليقيّضوا على رأس هذه البراميل صفوة علماء العالم، ولينتظر هؤلاء الخبراء في مكانهم هذا وبشكل مستمر مليارات، بل تريليونات السنين بالتناوب من الأب إلى الابن، ومن جيل إلى جيل، ولتكن لهم مطلق الحرية في أن يستخدموا كافة ما يعتقدون في ضرورة وجوده من الظروف من أجل تشكل الكائن الحي. إنّهم مهما فعلوا، ليس بمقدورهم بالطبع أن يُخرجوا كائنا حيّا من تلك البراميل. ولا يتأتى لهم أن



القدر من النقاء. ومنذ مائة عام وآلاف المهندسين يسعون للوصول إلى هذا النقاء، ومن ثم تُشيَّد المصانع والمؤسسات العملاقة، وتُجرى الأبحاث، ويتم تطوير الخطط والتصميمات. ولتنظروا ثانية إلى شاشة التلفاز، وفي اللحظة ذاتها إلى الكتاب الذي بين أيديكم، فسوف ترون أن هناك فرقاً شاسعاً في النقاء والجودة. فضلا أن شاشة التلفاز تبدي لكم صورة ثنائية الأبعاد، في حين أنكم تتابعون مناظر ثلاثية الأبعاد ذات عمق.

ومنذ سنوات طوال يسعى عشرات الآلاف من المهندسين لتصنيع شاشات جهاز تلفاز تعطي صورة ثلاثية الأبعاد، والوصول إلى جودة رؤية العين. نعم لقد أمكنهم تصميم نظام تلفاز ثلاثي الأبعاد، غير أنه ليس في الإمكان رؤيته ثلاثي الأبعاد دون ارتداء النظارة. ومع أن هذه الأبعاد الثلاثة اصطناعية. فالجهة الخلفية تظل عكرة، أما الجهة الأمامية فتبدو وكأنها صورة من ورق. ولا يتشكل أبدا منظر في جودة ونقاء المنظر الذي تراه العين. ويحدث بالطبع أن تضيع الصورة في الكاميرا والتلفاز.

وها هم التطوريون يزعمون أن آلية الإبصار في العين والتي تظهر هذا المنظر الذي يتسم بالجودة والنقاء، إنما تشكلت بمحض المصادفة . والآن إذا ما قال أحد لكم إن التلفاز الموجود في حجرتكم، إنما قد تشكل نتيجة مصادفات، وأن الذرات تجمعت وجاءت بالجهاز الذي يشكل هذه الصورة، ماذا تعتقدون فيه؟! كيف لذرات غير واعية أن تصنع ما لم يتأت لآلاف الأشخاص مجتمعين أن يصنعوه ؟!

إنّ الآلة التي تشكل منظرًا هو أكثر بدائية مما تراه العين، لو أنها لا تتشكل مصادفة، فإنه من الواضح للغاية أن العين والمنظر الذي تراه بدورهما لن يتشكلا محض مصادفة، والحال كذلك بالنسبة للأذن . فالأذن الخارجية تجمع الأصوات المحيطة بواسطة صوان الأذن، وتقوم بتوصيلها إلى الأذن الوسطى، لتقوم هي الأخرى بتقوية الذبذبات الصوتية ونقلها إلى الأذن الداخلية، لتقوم بدورها بتحويل هذه الذبذبات إلى إشارات كهربية، وإرسالها إلى المخ. وعملية السمع أيضا كما هو الشأن في عملية الإبصار تتم في مركز السمع الموجود في المخ.

والوضع الذي في العين يسري كذلك على الأذن. بمعنى أن المخ محجوب كذلك



إن المخ محجوب عن الضوء، بمعنى أن داخل المخ ظلامًا دامسًا، ولا يتأتى للضوء أن ينفذ إلى حيث يوجد المخ. والموضع الذي يسمى مركز الإبصار موضع حالك الظلمة ليس الضوء ببالغه أصلا، ولعله مظلم بدرجة لم نصادفها قط. إلا أنكم في هذه الظلمة الحالكة تشاهدون عالما مضيئا متوهجا.

فضلا عن كونه منظرًا على درجة من النقاء والجودة تعجز حتى تقنية القرن الحادي والعشرين ـــ رغم كل الإمكانيات ـــ أن تأتي بمثلها. انظروا مثلا إلى الكتاب الذي بين أيديكم الآن، وانظروا إلى أيديكم التي تمسك الكتاب، ثم ارفعوا رأسكم وانظروا حولكم. أرأيتم منظرًا بهذا النقاء والجودة في أي موضع آخر؟ إن شاشة أكثر أجهزة التلفاز تطورًا والتي تنتجها شركة أجهزة التلفاز الأولى على مستوى العالم، لا يمكن أن تمنحكم صورة بهذا

إلى المخ في صورة إشارة كهربية. وإنكم لتطالعون تفصيلات كثيرة في كتب علم الأحياء والطبيعة والكيمياء الحيوية، بيد أنكم لا يمكن أن تصادفوا في أي موضع قط أهم حقيقة ينطوي عليها هذا الموضوع ألا وهي: من ذا الذي بالمخ يتلقى هذه الأشارات الكهربية ويدركها على أنها صورة وصوت ورائحة وإحساس. إن ثمة حاسة توجد بداخل المخ تلتقط هذا كله دون حاجة إلى عين أو أذن أو أنف، لمن تعود هذه الحاسة. بالطبع لا تعود على ما يشكل المخ من أعصاب وطبقات دهنية وخلايا عصبية. وهكذا ولهذا السبب ليس بمقدور الماديين الداروينيين ممن يظنون أن كل شيء ليس سوى مادة، أن يجيبوا على هذه التساؤلات، لأن هذه الحاسة إنما هي الروح التي خلقها المولى عز وجل. فهي لا تحتاج إلى عين حتى ترى الصورة، ولا أذن حتى تسمع الصوت. وعلاوة على هذا كله، فهي ليست بحاجة إلى مخ كيما تفكر. إن كل امرئ يطالع هذه الحقيقة العلمية الجلية، عليه أن يفكر في الله عز وجل الذي جمع بمكان حالك الظلمة داخل المخ يقدَّر بعدة سنتيمترات مكعّبة، الكائنات كافة بصورة ثلاثية الأبعاد ذات ألوان وظلال وضياء، ويخشاه ويلوذ به.

عقيدة مادية

إن ما تناولناه إلى الآن بالبحث والتدقيق ليظهر أن نظرية التطور ما هي إلا زعم يتعارض بوضوح مع الاكتشافات العلمية، ويجافي زعم النظرية ـــ فيما يتعلق بأصل الحياة ـــ المنطق العلمي. فليس لأية آلية تطور قط طرحتها النظرية أي تأثير تطوري. وتكشف الحفريات أن الكائنات الحية لم تمر بمراحل بينية تلك التي تستوجبها النظرية. وفي هذه الحالة يتعين تنحية نظرية التطور جانبا باعتبارها فكرة مجافية للعلم. لا سيما وأن كثيرًا من الأفكار التي ظهرت على مدار التاريخ، مثل فكرة أن الأرض هي مركز الكون، قد حُذفت من أجندة العلم. في حين أن نظرية التطور يُتشبث بها وبإصرار في هذه الأجندة، حتى إنه من الناس من يسعى لإظهار أي انتقاد موجه إلى النظرية وكأنه هجوم على العلم ! لِمَ هذا إذن؟!

إن السبب في هذا الوضع إنما هو تكون عقيدة جازمة لنظرية التطور لا يمكن النكوص عنها بالنسبة إلى بعض الأوساط. وتخلص هذه الأوساط إخلاصاً أعمى للفلسفة

عن الصوت مثلما هو محجوب عن الضوء، فالصوت لا ينفذ، وعليه فإنه مهما بلغت شدة الضجيج خارج المخ، فإن داخله ساكن تمام السكون. ورغم هذا فإن أنقى الأصوات تُلتقط في المخ. ولو أنكم تسمعون سيمفونيات أوركسترا في مخكم الذي لا ينفِذ إليه الصوت، فإنكم تشعرون بكل صخب أحد الأوساط المزدحمة. وإذا ما قيس مستوى الصوت الذي بداخل المخ باستخدام جهاز حساس في تلك اللحظة، فسيتضح أنه يُطبق عليه السكون التام.

وعلى نحو ما استخدمت التقنية أملا في الحصول على صورة نقية، فإن المساعي نفسها تتواصل منذ عشرات السنين بالنسبة كذلك للصوت. وتُعد أجهزة تسجيل الصوت وأشرطة الكاسيت وكثير من الأجهزة الإليكترونية، والأنظمة الموسيقية التي تلتقط الصوت، بعض ثمار هذه المساعي. ولكن على الرغم من كل التقنيات، وآلاف المهندسين والخبراء العاملين بحقلها، لم يتأت الوصول إلى صوت بنقاء وجودة الصوت الذي تلتقطه الأذن. وتأملوا أجود أشرطة الكاسيت التي تنتجها كبرى شركات الأنظمة الموسيقية، فحينما يسجل الصوت، حتما يضيع شطر منه، أو يحدث تشوش بالطبع ولو قليلا، أو أنه حينما تقومون بتشغيل شريط الكاسيت فإنكم لا بد أن تسمعوا له صريرًا قبل أن تبدأ الموسيقى. في حين أن الأصوات التي من نتاج التقنية الموجودة بالجسم الإنساني تتسم بأقصى درجات النقاء، ولا تشوبها شائبة. ولا تلتقط أذن إنسان أبدًا الصوت بشكل به صرير أو تشويش. وأيا ما كانت طبيعة الصوت فإنها تلتقطه بشكل كامل ونقي. وهذا الوضع لا يزال على ذات الكيفية منذ أن خُلق الإنسان وإلى يومنا هذا. وإلى الآن ليس ثمة جهاز بصري أو صوتي من صنع بني الإنسان يلتقط الصورة والصوت بشكل حساس وناجح مثل العين والأذن.

وفيما عدا هذا كله، فإنه ثمة حقيقة عظيمة للغاية في عملية الإبصار والسمع.

لمن تعود حاسة الإبصار والسمع داخل المخ ؟

من ذا الذي بداخل المخ يشاهد عالما مضيئا ملونا، ويسمع السيمفونيات وزقزقة العصافير، ويتنسم عبير الورود؟ إن التنبيهات الآتية من عيني الإنسان وأذنيه وأنفه تمضي

تأتي بتفسير مادي للعالم. ونظرا إلى كون المادية صحيحة صحة مطلقة، فإننا لا يمكن أن نسمح بدخول تفسير إلهي إلى الساحة".[١٩]

وتُعد هذه الكلمات اعترافات صريحة بأن الداروينية مولود يحيا في سبيل الإخلاص للفلسفة المادية. وهذا المولود يفترض أنه ما من وجود قط سوى المادة. ولهذا السبب يعتقدون أن المادة الجامدة عديمة الوعي إنما خلقت الحياة. ويذهبون إلى أن ملايين الأنواع الحية المختلفة مثل الطيور والأسماك والزرافات والنمور والحشرات والأشجار والأزهار وحيتان البال والبشر إنما تشكلت من داخل المادة الجامدة وبالتفاعلات الحادثة داخل المادة ذاتها؛ أي بالمطر الساقط، والبرق الخاطف. أما في حقيقة الأمر فإن هذا يتنافى



المادية، وتتبنى الداروينية كذلك لأنها التفسير المادي الوحيد للطبيعة الذي يمكن الإتيان به.

وأحيانا يعترفون صراحة بهذا، ويعترف ريتشارد لونتين (Richard Lewontin) ــ عالم الوراثة الشهير بجامعة هارفرد وفي الوقت ذاته تطوري بارز، ــ بأنه "مادي في المقام الأول، ثم عالم في المقام الذي يليه"، إذ يقول:

"إن لنا إيمانا بالمادية، وهو إيمان استباقي (اعتُنق سلفا، وافترضت صحته). والشيء الذي يدفعنا إلى الإتيان بتفسير مادي للعالم، ليس هو أصول العلم وقواعده، بل على العكس من ذلك فإننا ــ بسبب من إخلاصنا سلفا للمادية ــ نختلق أصول ومفاهيم بحثية



كانوا يصنعونها بأيديهم، وعبادة قوم موسى عليه السلام للعجل الذي صنعوه من ذهب. وهذا الوضع في حقيقته إنما هو حماقة أشار إليها الله تعالى في القرآن الكريم. وينبئنا المولى عز وجل في كثير من آياته بأن من الناس من سيستغلق عليه الفهم ويتردون إلى حال يعجزون فيه عن رؤية الحقائق. ومن بين هذه الآيات قوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ (البقرة: ٦-٧).

وقوله أيضا :

لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (الأعراف: ١٧٩).

أما في سورة الحِجْر فيخبرنا الله عز وجل بأن أولئك الناس قد سُحروا بحيث أنهم لن يؤمنوا حتى ولو رأوا المعجزات، إذ يقول سبحانه وتعالى:

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ (الحجر: ١٤-١٥)

وإن امتداد هذا السحر بشكل مؤثر على قطاعات عريضة من الناس بهذا القدر، وابتعاد الناس عن الحقائق بهذه الدرجة، وبقاء هذا السحر منذ ١٥٠ عاما، لهو وضع مثير للحيرة والدهشة بدرجة لا يمكن شرحها بكلمات، لأنه من الممكن أن يستسيغ العقل اعتقاد شخص أو عدة أشخاص لسيناريوهات مستحيلة ومزاعم حافلة بالخَرَف والهراء والأمور غير المنطقية، إلا أن اعتقاد الكثيرين من البشر في كافة أنحاء العالم بأن الذرات اللاوعية والجامدة قد اجتمعت بقرار فجائي، فأتت بالكون الذي نراه يعمل بنظام لا تشوبه شائبة، ويكشف عن تنظيم غير عادي ونظام متقن غاية الاتقان، وبكوكب الأرض الذي يختص بكافة السمات المناسبة للحياة، وبكائنات حية مزودة بأنظمة معقدة تفوق الحصر، ليس له من تفسير سوى أنه سحر.

كما أن الله عز وجل ينبئنا من خلال تلك الحادثة التي وقعت بين موسى عليه السلام وفرعون، بأن بعض الأشخاص ممن ينافحون عن الفلسفة الإلحادية، يؤثّرون على

مع العقل والمنطق على السواء. بيد أن الداروينيين يستمرئون المنافحة عن هذا الرأي بُغية "عدم دخول تفسير إلهي إلى الساحة" على حد تعبيرهم.

أما من لا ينظرون إلى أصل الكائنات الحية وفي أذهانهم حكم مادي مسبق، فسوف يدركون هذه الحقيقة الجلية. والكائنات الحية كافة إنما هي من صنع خالق ذي قوة وعلم وعقل معجز. إنه الله الذي خلق الكون كله من العدم، ونظّمه بشكل لا تشوبه شائبة أو قصور، وخلق الكائنات الحية كافة وصوّرها.

إن نظرية التطور هي أشد السحر تأثيراً في تاريخ العالم

يتعين هنا أن نوضح أن أيما إنسان يُعمِل عقله ومنطقه دون أحكام مسبقة ودون الوقوع تحت تأثير أي أيديولوجية، سيدرك بسهولة ويسر أن نظرية التطور التي تذكرنا بخرافات المجتمعات التي عاشت بمنأى عن العلم والحضارة، ليست سوى زعم يستحيل تصديقه.

وعلى النحو المتقدم تبيانه، فإن من يؤمنون بنظرية التطور يعتقدون أن الأساتذة الذين يفكرون ويعقلون ويخترعون، والطلاب الجامعيين والعلماء مثل إينستين هوبل (Einstein Hubble)، والفنانين مثل فرانك سيناترا (Frank Sinatra) وتشارلتون هيستون (Charlton Heston)، يضاف إليهم كائنات مثل الغزلان وأشجار الليمون وزهور القرنفل، سوف يخرجون مع مرور الزمان من مزيج من كثير من الذرات والجزئيات والمواد غير الحية التي تملأ برميلا عظيما. لا سيما وأن من يؤمنون بهذا الخَرَف هم علماء وأساتذة وأناس على قدر من الثقافة والتعليم. ولهذا السبب فإن استخدام تعبير "أشد السحر تأثيرًا في تاريخ العالم" بالنسبة إلى نظرية التطور سيكون استخدامًا في محله. إذ إنه ليس في تاريخ العالم اعتقاد أو زعم آخر سلب عقول البشر بمثل هذه الدرجة وحرمهم من فرصة التفكير بالعقل والمنطق، وكأنه أسدل ستارًا أمام أعينهم، حال دون أن يروا الحقيقة التي كانت واضحة بجلاء. وإنّ هذا لغفلة وعدم بصيرة لا يستسيغها عقل مثلها كمثل عبادة بعض القبائل الإفريقية للطوطم وعبادة أهل سبأ للشمس وعبادة قوم إبراهيم عليه السلام للأوثان، التي

وهذا المستقبل ليس ببعيد، بل على العكس من ذلك، فإن البشر في المستقبل القريب للغاية، سيدركون أن المصادفات ليست إلهاً وسوف يتم الاعتراف بأن نظرية التطور إنما هي أكبر خدعة وأشد أنواع السحر في تاريخ العالم. وسرعان ما بدأ هذا السحر الشديد ينحسر عن الناس في شتى أنحاء الأرض، وبات الكثيرون ممن وقفوا على سر خدعة التطور، يتساءلون بدهشة وحيرة كيف انطلت هذه الخدعة عليهم.

الناس بما يصنعونه من السحر. فحينما قص موسى عليه السلام نبأ الدين الحق على فرعون، طلب فرعون إلى موسى أن يلتقي بسحرته في موضع يحتشد فيه الناس. وحينما التقى موسى السحرة أمرهم أن يبادروا هم باستعراض مهاراتهم. والآية التي تسرد هذه الحادثة تقول: **"قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ"**(الأعراف: ١١٦). وعلى نحو ما تبدى تمكن سحرة فرعون بما صنعوه من خدع أن يسحروا الناس جميعا باستثناء موسى والذين آمنوا به. إلا أن البرهان الذي ألقاه موسى في مواجهة ما ألقاه هؤلاء على حد التعبير الوارد بالقرآن الكريم "تَلَقَّفَ مَا يَأْفِكُونَ"، أي أنّه أبطل تأثيره، يقول تعالى:"وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا

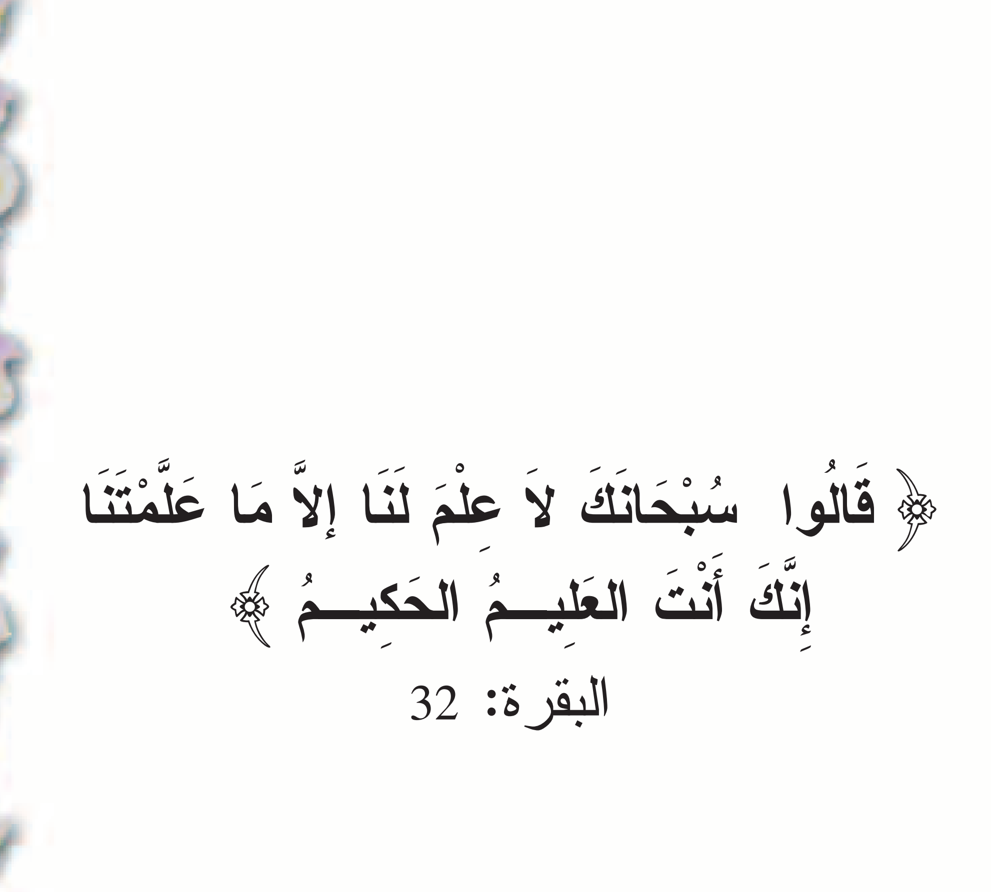
يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ"

(الأعراف: ١١٧-١١٩)

وعلى نحو ما ورد في الآيات، و مع إدراك أن ما فعله هؤلاء الأشخاص الذين سحروا الناس من قبل وأثروا عليهم إنما هو إفك، باؤوا بالذل والضعّة. وأولئك الذين يؤمنون بمزاعم خرقاء إلى أقصى درجة تحت غلاف من العلم وبتأثير السحر في عصرنا الراهن، وينذرون حياتهم للدفاع عنها، فسوف يسقط شأنهم ويُذلوا ما لم يتخلوا عن هذه المزاعم، وذلك حينما تظهر الحقيقة بجلاء بكامل معانيها، و"يبطل تأثير السحر".

ويشرح مالكوم موجريدج (Malcolm Muggeridge) الذي ظل ينافح عن نظرية التطور حتى ناهز الستين من عمره، وكان فيلسوفاً ملحداً، ولكنه أدرك الحقائق من بعد الوضع الذي ستتردى إليه نظرية التطور في المستقبل القريب قائلا:

"إنني أنا نفسي صرت مقتنعا بأن نظرية التطور ستكون إحدى مواد المزاح الموجودة بكتب تاريخ المستقبل لا سيما في المجالات التي طُبقت فيها. وسيتلقى جيل المستقبل بالدهشة والحيرة اعتناق فرضية متهرئة يكتنفها الغموض بسذاجة لا يصدقها عقل".[٢٠]



﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا
إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيــمُ الحَكِيــمُ ﴾

البقرة: 32

١. Sidney Fox, Klaus Dose, Molecular Evolution and The Origin of Life, New York: Marcel Dekker, ١٩٧٧, p. ٢

٢. Alexander I. Oparin, Origin of Life, (١٩٣٦) New York, Dover Publications, ١٩٥٣, p.١٩٦

٣. “New Evidence on Evolution of Early Atmosphere and Life”, Bulletin of the American Meteorological Society, vol. ٦٣, Nov ١٩٨٢, pp. ١٣٢٨-١٣٣٠

٤. Stanley Miller, Molecular Evolution of Life: Current Status of the Prebiotic Synthesis of Small Molecules, ١٩٨٦, p. ٧

٥. Jeffrey Bada, Earth, Feb ١٩٩٨, p. ٤٠

٦. Leslie E. Orgel, The Origin of Life on Earth, Scientific American, vol. ٢٧١, Oct ١٩٩٤, p. ٧٨

٧. Charles Darwin, The Origin of Species: A Facsimile of the First Edition, Harvard University Press, ١٩٦٤, p. ١٨٩

٨. Charles Darwin, The Origin of Species: A Facsimile of the First Edition, Harvard University Press, ١٩٦٤, p. ١٨٤

٩. B. G. Ranganathan, Origins?, Pennsylvania: The Banner Of Truth Trust, ١٩٨٨

١٠. Charles Darwin, The Origin of Species: A Facsimile of the First Edition, Harvard University Press, ١٩٦٤, p. ١٧٩

١١. Derek A. Ager, “The Nature of the Fossil Record”, Proceedings of the British Geological Association, vol. ٨٧, ١٩٧٦, p. ١٣٣

١٢. Douglas J. Futuyma, Science on Trial, New York: Pantheon Books, ١٩٨٣, p. ١٩٧

١٣. Solly Zuckerman, Beyond The Ivory Tower, New York: Toplinger Publications, ١٩٧٠, pp. ٧٥-٩٤; Charles E. Oxnard, “The Place of Australopithecines in Human Evolution: Grounds for Doubt”, Nature, vol. ٢٥٨, p. ٣٨٩

١٤. J. Rennie, “Darwin’s Current Bulldog: Ernst Mayr”, Scientific American, Dec ١٩٩٢

١٥. Alan Walker, Science, vol. ٢٠٧, ١٩٨٠, p. ١١٠٣; A. J. Kelso, Physical Antropology, ١. ed, New York: J. B. Lipincott Co., ١٩٧٠, p. ٢٢١; M. D. Leakey, Olduvai Gorge, vol. ٣, Cambridge: Cambridge University Press, ١٩٧١, p. ٢٧٢

١٦. Time, Nov ١٩٩٦

١٧. S. J. Gould, Natural History, vol. ٨٥, ١٩٧٦, p. ٣٠

١٨. Solly Zuckerman, Beyond The Ivory Tower, New York: Toplinger Publications, ١٩٧٠, p. ١٩

١٩. Richard Lewontin, “The Demon-Haunted World”, The New York Review of Books, ٩ Jan ١٩٩٧, p. ٢٨

٢٠. Malcolm Muggeridge, The End of Christendom, Grand Rapids: Eerdmans, ١٩٨٠, p. ٤٣